صفحه ۱

الحمد لله الذي
لا يبلغ مدحته القائلون
ولا يحصي نعمائه العادون ولا يؤدي
حقه المجتهدون الذي لا يدركه بعد الهمم
ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود
ولا نعت موجود فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد
بالصخور ميدان ارضه اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به
وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص له نفي
الصفات عنه كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شيء لا
بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والالة بصير اذ لا منظور اليه من
خلقه متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده انشأ الخلق انشاء وابتدأه
ابتداء سبحان ربي الحمد لله الاول بلا اول كان قبله والاخر بلا اخر يكون بعده الذي
قصرت عن رؤيته ابصار الناظرين وعجزت عن نعته اوهام الواصفين ابتدع بقدرته
الخلق ابتداعا واخترعهم على مشيته اختراعا اقول يا عباد الله هل تعلمون ان الله عز وجل
فوض الى الائمة عليهم السلام ان يخلقوا ويرزقوا والائمة صلوات الله عليهم يسئلون الله تعالى فيخلق
فيسئلونه فيرزق فاعلم ان الحق خرج من الناحية المقدسة جوابا لهذه المسئلة المهمة
وكان من توقيعه الذي خرج من عند صاحب الامر جعلني الله فداه الى ابي جعفر محمد بن
عثمان في اختلاف جماعة من الشيعة مروي عن ابي الحسن علي بن احمد الدلال القمي قال
اختلف جماعة من الشيعة ان الله فوض الى الائمة صلوات الله عليهم ان يخلقوا ويرزقوا
فقال قوم هذا محال لا يجوز على الله تعالى لان الاجسام لا يقدر على خلقها غير الله عز
وجل وقال اخرون بل الله عز وجل اقدر الائمة على ذلك وفوض اليهم فخلقوا ورزقوا
وتنازعوا في ذلك تنازعا شديدا فقال قائل ما بالكم لا ترجعون الى ابي جعفر محمد بن
عثمان فتسئلونه عن ذلك ليوضح لكم الحق فيه فانه الطريق الى صاحب الامر فرضيت الجماعة
بابي جعفر وسلمت واجابت الى قوله فكتبوا المسئلة وانفذوها اليه فخرج اليهم من
جهته توقيع نسخته ان الله تعالى هو الذي خلق الاجسام وقسم
الارزاق لانه ليس بجسم ولا حال في جسم ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير واما الائمة عليهم السلام فانهم يسئلون الله تعالى
فيخلق ويسئلونه فيرزق ايجابا لمسئلتهم واعظاما لحقهم
اقول يا عباد الله اعلموا ان في هذا الكتاب من ترجيح
كلام ائمتنا في امر التوحيد فلذا وجب على
كل مكلف تحفظه وفهمه والعمل

المبتني على ما ذكرنا من كلام جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه — على الصغير وجوبا عينيا — على حسب استعداده ووسعه

صفحه ۱

الحمد لله الذي
لا يبلغ مدحته القائلون
ولا يحصي نعمائه العادون ولا يؤدي
حقه المجتهدون الذي لا يدركه بعد الهمم و
لا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود ولا
نعت موجود فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد
بالصخور ميدان ارضه اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به و
كمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص له نفي
الصفات عنه الى ان قال كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شيء لا
بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والآلة بصير اذ لا منظور اليه من
خلقه متوحد اذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده انشأ الخلق انشاء وابتدأه
ابتداء سبحان ربي الحمد لله الاول بلا اول كان قبله والآخر بلا آخر يكون بعده الذي
قصرت عن رؤيته ابصار الناظرين وعجزت عن نعته اوهام الواصفين ابتدع بقدرته
الخلق ابتداعا واخترعهم على مشيته اختراعا اقول يا عباد الله هل تعلمون ان الله عز وجل
فوض الى الائمة عليهم السلام ان يخلقوا ويرزقوا او الائمة صلوات الله عليهم يسئلون الله تعالى فيخلق
فيسئلونه فيرزق فاعلم ان التوقيع خرج من الناحية المقدسة جوابا لهذه المسئلة المهمة
وكان من توقيعه الذي خرج من عند صاحب الامر صلوات الله فرفعه الى ابي جعفر محمد بن
عثمان في اختلاف جماعة من الشيعة روي عن ابي الحسن علي بن احمد الدلال القمي قال
اختلف جماعة من الشيعة ان الله فوض الى الائمة صلوات الله عليهم ان يخلقوا او يرزقوا
فقال قوم هذا محال لا يجوز على الله تعالى لان الاجسام لا يقدر على خلقها غير الله عز
وجل وقال آخرون بل الله عز وجل اقدر الائمة على ذلك وفوض اليهم فخلقوا ورزقوا
وتنازعوا في ذلك تنازعا شديدا فقال قائل ما بالكم لا ترجعون الى ابي جعفر محمد بن
عثمان فتسئلونه عن ذلك ليوضح لكم الحق فانه الطريق الى صاحب الامر فرضيت الجماعة
بابي جعفر وسلمت واجابت الى قوله فكتبوا المسئلة وانفذوها اليه فخرج اليهم من
جهته توقيع نسخته ان الله تعالى هو الذي خلق الاجسام وقسم
الارزاق لانه ليس بجسم ولا حال في جسم ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير واما الائمة عليهم السلام فانهم يسئلون الله تعالى
فيخلق ويسئلونه فيرزق ايجابا لمسئلتهم واعظاما لحقهم
اقول يا عباد الله اعلموا ان هذا الكتاب مشتمل على
كلام الامام في امر التوحيد فلذا وجب على
كل مكلف ان يحفظه ويفهم والعمل

المبين بمعانيه جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه
على الصغير وجوبا عينيا
على حسب استعداده ووسعه

صفحه ١

الحمد لله الذي
لا يبلغ مدحته القائلون
ولا يحصى نعمائه العادّون ولا يؤدي
حقه المجتهدون الذي لا يدركه بعد الهمم و
لا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حدّ محدود
ولا نعت موجود فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد
بالصخور ميدان ارضه اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به و
كمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص له نفي
الصفات عنه الى ان قال كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شيء لا
بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والالة بصير اذ لا منظور اليه من
خلقه متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده انشأ الخلق انشاء وابتدأه
ابتداء سبحان ربي الحمد لله الاول بلا اول كان قبله والاخر بلا اخر يكون بعده الذي
قصرت عن رؤيته ابصار الناظرين وعجزت عن نعته اوهام الواصفين ابتدع بقدرته
الخلق ابتداعا واخترعهم على مشيته اختراعا اقول يا عباد الله هل تعلمون ان الله عز وجل
فوض الى الائمة عليهم السلام ان يخلقوا ويرزقوا ام الائمة صلوات الله عليهم يسئلون الله تعالى فيخلق
فيسئلونه فيرزق فاعلموا انه خرج من الناحية المقدسة جوابا لهذه المسئلة المهمة
وكان من توقيعه الذي خرج من عند صاحب الامر عجل الله فرجه الى ابي جعفر محمد بن
عثمان في اختلاف جماعة من الشيعة مروي عن ابي الحسن علي بن احمد الدلال القمي قال
اختلف جماعة من الشيعة ان الله فوض الى الائمة صلوات الله عليهم ان يخلقوا او يرزقوا
فقال قوم هذا محال لا يجوز على الله تعالى لان الاجسام لا يقدر على خلقها غير الله عز
وجل وقال اخرون بل الله عز وجل اقدر الائمة على ذلك وفوض اليهم فخلقوا ورزقوا
وتنازعوا في ذلك تنازعا شديدا فقال قائل ما بالكم لا ترجعون الى ابي جعفر محمد بن
عثمان فتسئلونه عن ذلك ليوضح لكم الحق فانه الطريق الى صاحب الامر فرضيت الجماعة
بابي جعفر وسلمت واجابت الى قوله فكتبوا المسئلة وانفذوها اليه فخرج اليهم من
جهته توقيع نسخته ان الله تعالى هو الذي خلق الاجسام وقسم
الارزاق لانه ليس بجسم ولا حال في جسم ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير واما الائمة عليهم السلام فانهم يسئلون الله تعالى
فيخلق ويسئلونه فيرزق ايجابا لمسئلتهم واعظاما لحقهم
اقول يا عباد الله اعلموا ان هذا الكتاب من لمع
كلام امامنا في امر التوحيد فلهذا وجب على
كل مكلف ان يحفظه ويفهمه والعمل

المبين لمعاني جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه	على المفضل وجوبا عينيا	على حسب استعداده ووسعه

هو

الحمد لله الذي
لا يبلغ مدحته القائلون
ولا يحصي نعماءه العادّون ولا يؤدّي
حقّه المجتهدون الذي لا يدركه بعد الهمم
ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حدّ محدود
ولا نعت موجود فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتّد
بالصخور ميدان أرضه أوّل الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به
وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي
الصفات عنه الى آخره كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شيء لا
بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والآلة بصير إذ لا منظور إليه من
خلقه متوحّد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده أنشأ الخلق إنشاء وابتدأه
ابتداء سبحان ربي الحمد لله الأول بلا أول كان قبله والآخر بلا آخر يكون بعده الذي
قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين وعجزت عن نعته أوهام الواصفين ابتدع بقدرته
الخلق ابتداعا واخترعهم على مشيته اختراعا اقول يا عباد الله هل تعلمون ان الله عز وجل
فوّض الى الائمة عليهم السلام ان يخلقوا ويرزقوا او ان الائمة صلوات الله عليهم يسئلون الله تعالى فيخلق
ويسئلونه فيرزق فاعلموا ان التوقيع خرج من الناحية المقدسة جوابا لهذه المسئلة المهمة
وكان من توقيعه الذي خرج من عند صاحب الامر جعلني الله فداه الى ابي جعفر محمد بن
عثمان في اختلاف جماعة من الشيعة روي عن ابي الحسن علي بن احمد الدلال القمي قال
اختلف جماعة من الشيعة ان الله فوض الى الائمة صلوات الله عليهم ان يخلقوا او يرزقوا
فقال قوم هذا محال لا يجوز على الله تعالى لان الاجسام لا يقدر على خلقها غير الله عز
وجل وقال آخرون بل الله عز وجل اقدر الائمة على ذلك وفوض اليهم فخلقوا ورزقوا
وتنازعوا في ذلك تنازعا شديدا فقال قائل ما بالكم لا ترجعون الى ابي جعفر محمد بن
عثمان فتسئلونه عن ذلك ليوضح لكم الحق فيه فانه الطريق الى صاحب الامر فرضيت الجماعة
بابي جعفر وسلمت واجابت الى قوله فكتبوا المسئلة وانفذوها اليه فخرج اليهم من
جهته توقيع نسخته ان الله تعالى هو الذي خلق الاجسام وقسم
الارزاق لانه ليس بجسم ولا حال في جسم ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير واما الائمة عليهم السلام فانهم يسئلون الله تعالى
فيخلق ويسئلونه فيرزق ايجابا لمسئلتهم واعظاما لحقهم
اقول يا عباد الله اعلموا ان هذا الكتاب المبارك من لطيف
كلام امام [illegible] التوحيد فلذا وجب على
كل مكلف تحصيله وفهمه والعمل به
على المكلف وجوبا
عينيا
على حسب
استعداده
ووسعه
المبتنى بالصادق
جعفر بن محمد الصادق
صلوات الله
عليه [illegible]

هذا هو الكتاب المستطاب المسمى بتوحيد المفضل عليه الرحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

روى محمد بن سنان قال حدثني المفضل بن عمر قال كنت ذات يوم
بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر وانا متفكر
فيما خص الله به سيدنا محمداً من الشرف والفضائل وما منحه
واعطاه وشرفه به وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الامة وما جهلوا
من فضله وعظيم منزلته وخطير مرتبته فاني لكذلك اذ اقبل ابن
ابي العوجاء فجلس بحيث اسمع كلامه فلما استقر به المجلس اذا رجل
من اصحابه قد جاء فجلس اليه فتكلم ابن ابي العوجاء فقال لقد بلغ
صاحب هذا القبر العز بكماله وحاز الشرف بجميع خصاله ونال الحظوة
في كل احواله فقال له صاحبه انه كان فيلسوفاً ادعى المرتبة العظمى
والمنزلة الكبرى واتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول وضلت فيه
الاحلام وغاضت الالباب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت

كلام في بيان ما تفضل الله عليه
والمعصوم في بيان معرفة الحق
روى العياشي والبيان انه دخل
على رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم رجل اسمه مجاشع
فقال يا رسول الله كيف
الطريق الى معرفة الحق فقال
معرفة النفس فقال يا رسول الله
فكيف الطريق الى موافقة الحق
قال مخالفة النفس فقال يا رسول
الله فكيف الطريق الى رضا الحق
قال سخط النفس فقال يا رسول الله
فكيف الطريق الى وصل الحق قال هجر
النفس فقال يا رسول الله فكيف الطريق
الى طاعة الحق قال عصيان النفس
فقال يا رسول الله فكيف الطريق الى ذكر الحق قال
نسيان النفس فقال يا رسول الله فكيف الطريق الى قرب الحق
قال التباعد من النفس فقال يا رسول الله فكيف الطريق
الى الانس بالحق قال الوحشة من النفس فقال يا رسول الله
فكيف السبيل الى ذلك قال الاستعانة بالحق على النفس [illegible]

خاسئات وهي حسرى فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء
والخطباء دخل الناس في دينه افواجاً فقرن اسمه باسم ناموسه
فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان والمواضع
التي انتهت اليها دعوته وعلت بها كلمته وظهرت فيها حجته براً
وبحراً وسهلاً وجبلاً في كل يوم وليلة خمس مرات مردداً في الاذان
والاقامة ليتجدد في كل ساعة ذكره ولئلا يخمل امره فقال ابن ابي
العوجاء دع ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد تحير فيه عقلي
وضل في امره فكري وحدثنا في ذكر الاصل الذي نمشي به ثم
ذكر ابتداء الاشياء وزعم ان ذلك باهمال لا صنعة فيه ولا
تقدير ولا صانع له ولا مدبر بل الاشياء تتكون من ذاتها بلا مدبر
وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال قال المفضل فلم املك نفسي
غضباً وغيظاً وحنقاً فقلت يا عدو الله الحدت في دين الله و
انكرت الباري جل قدسه الذي خلقك في احسن تقويم وصورك
في اتم صورة ونقلك في احوالك حتى بلغ بك الى حيث انتهيت
فلو تفكرت في نفسك وصدقك لطيف حسك لوجدت
دلائل الربوبية وآثار الصنعة فيك قائمة وشواهده جل وتقدس
في خلقك واضحة وبراهينه لك لائحة فقال يا هذا ان كنت من اهل
الكلام كلمناك فان ثبتت لك حجة تبعناك وان لم تكن منهم فلا كلام
لك وان كنت من اصحاب جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فما

هكذا يخاطبنا ولا بمثل دليلك
يجادلنا ولقد سمع من كلامنا اكثر مما سمعت
فما افحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا وانه
لحليم الرزين العاقل الرصين لا يعتريه خرق
ولا طيش ولا نزق ويسمع كلامنا ويصغي الينا
ويستعرف حجتنا حتى اذا استفرغنا ما عندنا
وظننا انا قد قطعناه دحض حجتنا بكلام
يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ويقطع
العذر ولا نستطيع لجوابه رداً فان كنت من

أصحابه فخطبنا بمثل خطابه قال المفضل فخرجت من المسجد محزوناً
متفكراً فيما بلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها
فدخلت على مولاي عليه السلام فرآني منكسراً فقال ما لك فأخبرته بما
سمعت من الدهريين وبما رددت عليهما فقال يا مفضل لألقين إليك
من حكمة الباري جل وعلا وتقدس اسمه في خلق العالم والسباع
والبهائم والطير والهوام وكل ذي روح من الأنعام والنبات والشجرة
المثمرة وغير ذات الثمر والحبوب والبقول المأكول من ذلك وغير المأكول ما
يعتبر به المعتبرون ويسكن إلى معرفته المؤمنون ويتحير فيه الملحدون فبكر
علي غداً قال المفضل فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً وطالت علي تلك
الليلة انتظاراً لما وعدني به فلما أصبحت غدوت فاستؤذن لي
فدخلت وقمت بين يديه فأمرني بالجلوس فجلست ثم نهض إلى حجرة كان
يخلو فيها ونهضت بنهوضه فقال اتبعني فتبعته فدخل ودخلت
خلفه فجلس وجلست بين يديه فقال يا مفضل كأني بك وقد
طالت عليك هذه الليلة انتظاراً لما وعدتك فقلت أجل يا مولاي
فقال يا مفضل إن الله كان ولا شيء قبله وهو باق ولا نهاية له
فله الحمد على ما ألهمنا وله الشكر على ما منحنا فقد خصنا من العلوم
بأعلاها ومن المعالي بأسناها واصطفانا على جميع الخلق بعلمه
وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه فقلت يا مولاي أتأذن لي أن
أكتب ما تشرحه وكنت أعددت معي ما أكتب فيه فقال لي افعل

يا مفضل إن الشكاك جهلوا
الأسباب والمعاني في
الخلقة وقصرت أفهامهم
عن تأمل الصواب والحكمة
فيما ذرأه الباري جل اسمه
وبرأ من صنوف خلقه في
البر والبحر والسهل والوعر
فخرجوا بقصر علومهم إلى
الجحود وبضعف بصائرهم
إلى التكذيب والعنود حتى
أنكروا خلق الأشياء وادعوا
أن كونها بالإهمال لا صنعة
فيها ولا تقدير ولا حكمة
من مدبر ولا صانع تعالى الله
عما يصفون وقاتلهم الله
أنى يؤفكون فهم في ضلالهم وعماهم
وتحيرهم بمنزلة عميان دخلوا

يا مفضل

دارا

قد بنيت أتقن بناء وأحسنه وفرشت بأحسن الفرش وأفخره
وأعد فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب التي يحتاج
إليها ولا يستغنى عنها ووضع كل شيء من ذلك موضعه على
صواب من التقدير وحكمة من التدبير فجعلوا يترددون فيها
يميناً وشمالاً ويطوفون بيوتها إدباراً وإقبالاً محجوبة أبصارهم
عنها لا يبصرون بنية الدار وما أعد فيها وربما عثر بعضهم
بالشيء الذي قد وضع موضعه وأعد للحاجة إليه وهو جاهل
بالمعنى فيه ولما أعد ولماذا جعل كذلك فتذمر وتسخط وذم الدار
وبانيها وهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر
الخلقة وثبات الصنعة فإنهم لما عزبت أذهانهم عن معرفة الأ
سباب والعلل في الأشياء صاروا يجولون في هذا العالم حيارى
فلا يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته و
صواب هيئته وربما وقف بعضهم على الشيء يجهل سببه و
الإرب فيه فيسرع إلى ذمه ووصفه بالإحالة والخطأ كا
لذي أقدمت عليه المنانية الكفرة وجاهرت به الملاحدة
المارقة الفجرة وأشباههم من أهل الضلال المعللين أنفسهم
بالمحال فيحق على من أنعم الله عليه بمعرفته وهداه لدينه
ووفقه لتأمل التدبير في صنعة الخلائق والوقوف على
ما خلقوا له من لطيف التدبير وصواب التعبير بالدلالة القائمة

الدالة على خالقها أن
يكثر حمد الله مولاه
على ذلك ويرغب إليه
في الثبات عليه والزيادة
منه فإنه جل اسمه يقول
لئن شكرتم لأزيدنكم و
لئن كفرتم إن عذابي
لشديد يا مفضل أول
العبر والأدلة على البار
ي جل قدسه تهيئة هذا الع
الم وتأليف أجزائه ونظمها
على ما هي عليه فإنك إذا
تأملت العالم بفكرك و
ميزته بعقلك وجدته
كالبيت المبني المعد فيه
جميع ما يحتاج إليه عباده
فالسماء مرفوعة كالسقف

والأرض

والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح و
الجواهر مخزونة كالذخائر وكل شيء فيها لشانه معدّ والانسان
كالمالك ذلك البيت والمخوّل جميع ما فيه وضروب النبات مهيّأة
لمآربه وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه ففي هذا
دلالة واضحة على ان العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة
وان الخالق له واحد وهو الذي ألّفه ونظّمه بعضاً الى بعض جلّ
قدسه وتعالى جدّه وكرم وجهه ولا اله غيره تعالى عمّا يقول الجا
حدون وجلّ وعظم عمّا ينتحله الملحدون وسنبتدئ يا مفضّل
بذكر خلق الانسان فاعتبر به فاوّل ذلك ما يدبّر به الجنين في
الرحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم و
ظلمة المشيمة حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع اذى
ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرّة فانّه يجري اليه دم الحيض
ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاؤه حتى اذا
كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي اديمه على مباشرة الهواء وبصره
على ملاقاة الضياء هاج الطلق بامّه فازعجه اشدّ ازعاج
وأعنفه حتى يولد فاذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه
من دم امّه الى ثدييها فانقلب الطعم واللون الى ضرب آخر
من الغذاء وهو اشدّ موافقة للمولود من الدم فيوافيه
في وقت حاجته اليه فحين يولد قد تلمّظ وحرّك شفتيه طلباً

للرضاعة فهو يجد ثديي
امّه كالاداوتين المعلّقتين
لحاجته فلا يزال يتغذّى
باللبن ما دام رطب البدن
رقيق الامعاء ليّن الاعضاء
حتى اذا تحرّك واحتاج الى غذاء فيه
صلابة ليشتدّ ويقوى
بدنه طلعت له الطواحن
من الاسنان والاضراس
ليمضغ به الطعام فيلين
عليه ويسهل له اساغته
فلا يزال كذلك حتى يدرك
فاذا ادرك وكان ذكراً طلع
الشعر في وجهه فكان ذلك
علامة الذكر وعزّ الرجل
الذي يخرج به من حدّ

للرضاعة

الصبى

الصبي وشبه النساء وان كانت انثى يبقى وجهها نقياً من الشعر
لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرّك الرجال لما فيه دوام النسل
وبقاؤه اعتبر يا مفضّل فيما يدبّر الانسان في هذه الاحوال المختلفة
هل ترى مثله يمكن ان يكون بالاهمال أفرأيت لو لم يجر اليه
ذلك الدم وهو في الرحم ألم يكن سيذوى ويجفّ كما
يجفّ النبات اذا فقد الماء ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه
ألم يكن سيبقى في الرحم كالموؤد في الارض ولو لم يوافقه
اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً او يغتذي بغذاء
لا يلائمه ولا يصلح عليه بدنه ولو لم يطلع عليه الاسنان
في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام واساغته او
يقيمه على الرضاع فلا يشتدّ بدنه ولا يصلح للعمل ثمّ
كان تشتغل امّه بنفسه عن تربية غيره من الاولاد ولو
لم يخرج الشعر في وجهه في وقته ألم يكن سيبقى في هيئة
الصبيان والنساء فلا ترى له جلالة ولا وقاراً فقال
المفضّل يا مولاي فقد رأيت من يبقى على حالته ولا ينبت
الشعر في وجهه وان بلغ حال الكبر فقال عليه السلام ذلك
بما قدّمت ايديهم وانّ الله ليس بظلّام للعبيد فمن هذا الذي
يرصده حتى يوافيه بكل شيء من هذه المآرب الا الذي
انشأه خلقاً بعد ان لم يكن ثمّ توكّل له بمصلحته بعد ان كان

فان كان الاهمال يأتي
بمثل هذا التدبير فقد
يجب ان يكون العمد و
التقدير يأتيان بالخطاء
والمحال لانّهما ضدّ الاهمال
وهذا فظيع من القول
وجهل من قائله لانّ الاهمال
لا يأتي بالصواب والتضاد
لا يأتي بالنظام تعالى الله
عمّا يقول الملحدون علوّاً
كبيراً ولو كان المولود يولد
فهماً عاقلاً لانكر العالم
عند ولادته ولبقي
حيران تائه العقل اذا رأى
ما لم يعرف وورد عليه
ما لم ير مثله من اختلاف
صور العالم والبهائم والطير و

فان كان

البهائم

والبهائم الى غير ذلك مما يشاهد ساعة بعد ساعة
ويوما بعد يوم واعتبر ذلك بان يسبى من بلد الى بلد
وهو عاقل يكون كالواله المتحير فلا يسرع في تعلم الكلام
وقبول الادب كما يسرع الذي يسبى صغيرا غير عاقل ثم
لو ولد عاقلا كان يجد غضاضة اذ يرى نفسه محمولا
رضيعا معصبا بالخرق مضجعا في المهد لانه لا يستغني عن
هذا كله لرقة بدنه ورطوبته حين يولد الطفل ثم كان يجد له
من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج
الى الدنيا غبيا غافلا عما فيه اهله فيلقى الاشياء بذهن
ضعيف ومعرفة ناقصة ثم لا يزال يتزيد في المعرفة قليلا
قليلا وشيئا بعد شيء وحالا بعد حال حتى يألف الاشياء
ويتمرن عليها فيخرج من حد التامل لها والحيرة فيها الى التصرف
والاضطراب في المعاش بعقله وحيلته والاعتبار والطاعة و
السهو والغفلة والمعصية وفي هذا ايضا وجوه اخر فانه لو كان
يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية
الاولاد وما قدر ان يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من
المصلحة وما يوجب التربية للآباء على الابناء من المكافات
بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم الى ذلك ثم كان الاولاد
لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء ابناءهم لان الاولاد كانوا

يستغنون من تربية
الآباء وحبا لهم
فيفرقون عنهم حين يو
لدون فلا يعرف الرجل
اباه وامه ولا يمتنع من
نكاح امه او اخته وذ
وات المحارم منه اذا كان
لا يعرفهن واقل ما في ذلك
من القباحة بل هو اشنع
واعظم وافظع واقبح
لو خرج الولد من بطن امه
وهو يعقل ان يرى منها
ما لا يحل له ولا يحسن به ان
يراه افلا ترى كيف اقيم
كل شيء من الخلقة على غاية
الصواب وخلا من الخطاء
دقيقه وجليله اعرف

يا مفضل ما للاطفال في البكاء من المنفعة واعلم ان في اد
معة الاطفال رطوبة ان بقيت فيها احدثت عليهم احداثا
جليلة وعللا عظيمة من ذهاب البصر وغيره فالبكاء
يسيل تلك الرطوبة من رؤسهم فيعقبهم ذلك الصحة في ابدانهم
والسلامة في ابصارهم افليس قد جاز ان يكون الطفل ينتفع
بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك فهما دائبان ليسكتانه ويتوخيان
في الامور مرضاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان ان البكاء اصلح
له واجمل عاقبة فهكذا يجوز ان يكون في كثير من الاشياء
منافع لا يعرفها القائلون بالاهمال ولو عرفوا ذلك لم
يحكموا على الشيء انه لا منفعة فيه من اجل انهم لا يعرفون
ولا يعلمون السبب فيه فان كل ما لا يعرفه المنكرون
يعلمه العارفون وكثير مما يقصر عنه علم المخلوقين محيط
به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته فاما ما يسيل من افوا
ه الاطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت
في ابدانهم لاحدثت عليهم الامور العظيمة كمن تراه قد
غلب عليه الرطوبة فاخرجته الى حد البله والجنون
والتخبط الى غير ذلك من الامراض المتلفة كالفالج و
اللقوة وما اشبههما فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من افواههم
في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحة في كبرهم فتفضل على خلقه

بما جهلوه ونظر لهم
بما لم يعرفوه ولو عرفوا
نعمه عليهم لشغلهم
ذلك عن التمادي
في معصيته فسبحانه
ما اجل نعمته واسبغها
على المستحقين وغيرهم
من خلقه تعالى عما يقول
المبطلون علوا كبيرا
انظر الآن يا مفضل
كيف جعلت آلات الجماع في الذكر
والانثى جميعا على ما يشاكل ذلك
فجعل للذكر آلة ناشرة تمتد
حتى تصل النطفة الى الرحم
اذ كان محتاجا الى ان يقذف ماءه في غيره
وخلق للانثى وعاء قعر

ليشتمل على المائين جميعا وليتحمل الولد ويتسع له والمصبوبين
حتى استحكم اللين ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى
عما يشركون فكر يا مفضل في اعضاء البدن اجمع وتدبير كل
منها للارب فاليدان للعلاج والرجلان للسعي والعينان
للاهتداء والفم للاغتذاء والمعدة للهضم والكبد للتخليص
والمنافذ لتنفيذ الفضول والاوعية لحملها والفرج لاقامة
النسل وكذلك جميع الاعضاء اذا تاملتها واعملت فكرك
فيها ونظرك وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب
وحكمة قال المفضل فقلت يا مولاي ان قوما يزعمون ان
هذا من فعل الطبيعة فقال عليه السلام سلهم عن
هذه الطبيعة اهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الافعال
ام ليست كذلك فان اوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم
من اثبات الصانع فان هذا صنعته وان زعموا انها تفعل هذه
الافعال بغير علم ولا عمد وكان في افعالها ما قد تراه من الصواب
والحكمة علم ان هذا الفعل للخالق الحكيم وان سموه طبيعة هي
سنته عادة الله في خلقه الجارية على ما اجراها عليه فكر
يا مفضل في وصول الغذاء الى البدن وما فيه من التدبير
فان الطعام يصير الى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه الى الكبد
في عروق دقاق واشجة بينها قد جعلت كالمصفي للغذاء لكيلا

يصل الى الكبد منه
شيء فينكاها وذلك
ان الكبد رقيقة تقبل
العنف ثم ان الكبد التدبير
فتستحيل بلطف التدبير الى البدن
دما وتنفذه الى البدن كله
في مجاري مشتبكات
بمنزلة التي تسقي الارض كلها
ليطرد في الارض ما يخرج منه من
وينقل ما يبقى من الفضول المعاني
الخبث والفضول فما كان
فلما عدت لذلك فما كان
منه من جنس المرة الصفراء
جرى الى المرارة وما كان
من جنس السوداء جرى الى الطحال وما كان من جنس
البلغم والرطوبة جرى

الى المثانة فتامل يا مفضل حكمة التدبير في تركيب البدن ووضع
هذه الاعضاء منه على مواضعها واعداد هذه الاوعية
فيه لتحمل تلك الفضول لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه
فتبارك الله من احسن التقدير واحكم التدبير وله الحمد كما هو
اهله ومستحقه قال المفضل صف نشو الانسان ونموه
حالا بعد حال حتى يبلغ التمام والكمال فقال عليه السلام اول ذلك
تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد ويدبره
حتى يخرج سويا مستوفيا جميع ما فيه قوامه وصلاحه من
الاحشاء والجوارح والعوامل الى ما في تركيب اعضائه من العظام
واللحم والشحم والعصب والمخ والعروق والغضاريف فاذا
خرج الى العالم تراه كيف ينمي بجميع اعضائه وهو ثابت على
شكله وهيئته لا تتزايد ولا تنقص الى ان يبلغ اشده ان مد
في عمره او يستوفي مدته قبل ذلك هل هذا من لطيف التدبير
والحكمة يا مفضل انظر الى ما خص به الانسان في خلقه تشريفا
وتفضيلا على البهائم فانه خلق ينتصب قائما ويستوي
جالسا ليستقبل الاشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج
والعمل بها فلو كان مكبوبا على وجهه كذات الاربع لما استطاع
ان يعمل شيئا من الاعمال انظر الان يا مفضل الى هذه الحواس
التي خص بها الانسان في خلقه وشرف بها على غيره كيف

جعلت العينان في
الرأس كالمصابيح فوق
المنارة ليتمكن من مطالعة
الاشياء ولم تجعل في
الاعضاء التي تحتهن كاليدين
والرجلين فتعرضها الآفات
ويصيبها من مباشرة العمل
والحركة ما يعللها ويؤثر
فيها وينقص منها ولا
في الاعضاء التي وسط البدن
كالبطن والظهر فيعسر تقلبها
واطلاعها نحو الاشياء
فلما لم يكن لها في شيء من
هذه الاعضاء موضع
كان الرأس اسنى المواضع
للحواس وهو بمنزلة
الصومعة لها فجعل الحواس

خمسًا تلقى خمسًا لكيلا يفوتها شيء من المحسوسات فخلق البصر
ليدرك الالوان فلو كانت الالوان ولم يكن بصر يدركها
لم يكن فيها منفعة وخلق السمع ليدرك الاصوات فلو كانت
الاصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها ارب وكذلك سائر
الحواس ثم هذا يرجع متكافيا فلو كان بصر ولم يكن الالوان لما
كان للبصر معنى ولو كان سمع ولم يكن اصوات لم يكن للسمع
موضع فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضا فجعل لكل حاسة
محسوسا يعمل فيه ولكل محسوس حاسة تدركه ومع هذا فقد
جعلت اشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا يتم الحواس الا
بها كمثل الضياء والهواء فانه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم
يكن البصر يدرك اللون ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت الى السمع
لم يكن السمع يدرك الصوت فهل يخفى على من صح نظره واعمل
فكره ان مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات
بعضها يلقى بعضا وتهيئة اشياء اخر بها يتم الحواس لا يكون الا بعمد
وتقدير من لطيف خبير فكر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس
وما يناله من الخلل في اموره فانه لا يعرف موضع قدمه ولا يبصر
ما بين يديه فلا يفرق بين الالوان وبين المنظر الحسن والقبيح فلا يرى
حفرة ان هجم عليها ولا عدوا ان هوى اليه بسيف ولا يكون له سبيل
الى ان يعمل شيئا من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة والزراعة

حتى انه لولا نفاذ ذهنه
لكان بمنزلة الحجر الملقى
وكذلك من عدم السمع
مختل في امور كثيرة فانه
يفقد روح المخاطبة و
المحاورة ويعدم لذة الاصوات
والالحان المشجية المطربة و
تعظم المؤونة على الناس في
محاورته حتى يتبرموا به و
لا يسمع شيئا من اخبار الناس
واحاديثهم حتى يكون كالغائب
وهو شاهد او كالميت وهو حي
فاما من عدم العقل
فانه يلحق بمنزلة البهائم
بل يجهل كثيرا مما تهتدي اليه البهائم
افلا ترى كيف صارت
الجوارح والعقل وسائر

الخلال التي بها صلاح الانسان والتي لو فقد منها شيئا لعظم
ما يناله في ذلك من الخلل يوافي خلقه على التمام حتى لا يفقد
شيئا منها فلم كان كذلك الا انه خلق بعلم وتقدير قال المفضل
فقلت فلم صار بعض الناس يفقد شيئا من هذه الجوارح فيناله في ذلك
مثل ما وصفته يا مولاي قال للتاديب والموعظة لمن يحل ذلك
به ولغيره بسببه كما قد يؤدب الملوك الناس للتنكيل والموعظة
فلا ينكر ذلك عليهم بل يحمد من رايهم ويستصوب من تدبيرهم
ثم ان الذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت ان
شكروا وانابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم منها حتى انهم لو خيروا
بعد الموت لاختاروا ان يردوا الى البلايا ليزدادوا من الثواب
فكر يا مفضل في الاعضاء التي خلقت افرادا وازواجا وما في
ذلك من الحكمة والتقدير والصواب في التدبير فالراس مما
خلق فردا ولم يكن للانسان صلاح في ان يكون اكثر من واحد
الا ترى انه لو اضيف الى راس الانسان راس اخر لكان ثقلا عليه
من غير حاجة اليه لان الحواس التي يحتاج اليها مجتمعة في راس واحد
ثم كان الانسان ينقسم قسمين لو كان له راسان فان تكلم من
احدهما كان الاخر معطلا لا ارب فيه ولا حاجة اليه وان
تكلم منهما جميعا بكلام واحد كان احدهما فضلا لا يحتاج
اليه وان تكلم باحدهما بغير الذي تكلم به من الاخر لم يدر السامع

باي ذلك ياخذ وانما
هذا من الاختلاط واللبس
مما خلق زوجا ولم يكن
للانسان صلاح ان يكون
له يد واحدة لان ذلك
كان يخل به فيما يحتاج
الى معالجته من الاشياء
الا ترى ان النجار والبناء
لو شلت احدى يديه لم
يستطع ان يعالج صناعته
وان تكلف ذلك لم يحكمه
ولم يبلغ منه ما يبلغه اذا
كانت له يدان يتعاونان
على العمل اطل الفكر
في الصوت والكلام وتهيئة
آلاته في الانسان فالحنجرة
كالانبوبة لخروج الصوت

وللسان والشفتان والاسنان لصياغة الحروف والنغم
الى ترى ان من سقطت اسنانه لم يتم السين وسقطت شفته لم
يصحح الفاء ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء واشبه شئ بذلك المزمار
الاعظم فالحنجرة يشبه قصبة المزمار والرية يشبه الزق
الذى ينفخ فيه ليدخل الريح والعضلات التى تقبض على الرية
ليخرج الصوت كالاصابع التى تقبض على الزق حتى تجرى الريح فى
المزمار والشفتان والاسنان التى تصوغ الصوت حروفا و
نغما كالاصابع التى تختلف فى فم المزمار فتصوغ صفيره الحانا
غير انه وان كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة والتعريف
فان المزمار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت قد انبأتك عما
فى الاعضاء من الاغناء فى صيغة الكلام واقامة الحروف
وفيها مع الذى ذكرت لك مآرب اخرى فالحنجرة ليسلك فيها هذا
النسيم على الرية فتروح عن الفؤاد بالنفس المتدارك المتتابع الذى
لو حبس شيئا يسيرا لهلك الانسان وباللسان تذاق الطعوم فيميز
بينها ويعرف كل واحد منها حلوها من مرها وحامضها من مزها
ومالحها من عذبها وطيبها من خبيثها وفيه مع ذلك معونة على اساغة
الطعام والشراب والاسنان بمضغ الطعام حتى تلين ويسهل على
اساغته وهى مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من
داخل ثم واعتبر بذلك فانك ترى من سقطت اسنانه مسترخى المشفة

ومصطفيها وبالشفتين يترشف الشراب حتى يكون الذى يصل الى الجوف منه بقدر ... تعقيله ... فى الجوف ... الشارب ... ذلك ... الباب المطبق على الفم ... الانسان اذا شاء ... اذا شاء ... هذا بيان ان كل واحد من هذه الاعضاء يتصرف وينقسم الى وجوه من المنافع ... من المنافع كما تتصرف الاداة الواحدة فى اعمال شتى وذلك كالفاس ... يستعمل فى النجارة والحفر

وغيرهما من الاعمال لو رايت الدماغ اذا كشف عنه لرايته
قد لف بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الاعراض وتمسكه
فلا يضطرب ولرايت عليه الجمجمة بمنزلة بيضة تقيه من
الصدمة والصكة التى ربما وقعت فى الراس ثم قد جللت الجمجمة
بالشعر حتى صار بمنزلة فرو للراس يستره من شدة الحر والبرد فمن
حصن الدماغ هذا التحصين الا الذى خلقه وجعله ينبوع الحس و
المستحق للحيطة والصيانة بعلو منزلته من البدن وارتفاع درجته
وخطر مرتبته تامل يا مفضل الجفن على العين كيف جعل كا
الغشاء والاشفار كالاشراج واولجها فى هذا الغار واظلها بالحجاب
وما عليه من الشعر يا مفضل من غيب الفؤاد فى جوف الصدر و
كساه المدرعة التى هى غشاءه وحصنه بالجوانح وما عليها من اللحم
والعصب لئلا يصل اليه ما ينكاه من جعل فى الحلق منفذين
احدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتصل بالرية والاخر منفذ
للغذاء وهو المرئ المتصل بالمعدة الموصل الغذاء اليها وجعل
على الحلقوم طبقا يمنع الطعام ان يصل الى الرية فيقتل من جعل
الرية مروحة الفؤاد لا تفتر ولا تخل لكيلا تتحيز الحرارة فى
الفؤاد فتؤدى الى التلف من جعل لمنافذ البول والغائط اشراجا
تضبطهما لئلا يجريا جريانا دائما فيفسد على الانسان عيشه
فكم عسى ان يحصى المحصى من هذا بل الذى لا يحصى منه ولا يعلمه الناس

اكثر من جعل المعدة عصبانية شديدة وقدرها لهضم الطعام الغليظ ... ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفو اللطيف من الغذاء ولتهضم وتعمل ما هو الطف من عمل المعدة الا الله القادر اترى الاهمال ياتى بشئ من ذلك كلا بل هو تدبير من مدبر حكيم قادر على الاشياء قبل خلقها ... لا يعجزه شئ وهو ...

محصور فى العروق بمنزلة الماء فى الظروف الّا لتضبطه فلا يفيض لم صارت الاظفار على اطراف الاصابع الّا وقاية لها ومعونة على العمل لم صار داخل الاذن ملتويا كهيئة الكوكب الّا ليطرد فيه الصوت حتّى ينتهى الى السّمع وينكسر حمة الرّيح فلا ينكأ فى السّمع لم حمل الانسان على فخذيه واليتيه هذا اللحم الّا لتقيه من الارض فلا يتألم من الجلوس عليهما كما يالم من نحل جسمه وقلّ لحمه اذا لم يكن بينه وبين الارض حائل يوقّيه صلابتها من جعل الانسان ذكرا او انثى الّا من خلقه متناسلا الّا ومن خلقه مؤمّلا ومن اعطاه آلات العمل الّا من خلقه عاملا ومن خلقه عاملا الّا جعله محتاجا ومن جعله محتاجا الّا من ضربه بالحاجة ومن ضربه بالحاجة الّا من توكّل بتقويمه من خصّه بالفهم الّا من اوجب له الجزاء من وهب له الحيلة الّا من ملكه الحول الّا من الزمه الحجة من يكفيه ما لا تبلغه حيلته الّا من لا يبلغ مدى شكره فكّر وتدبّر فيما وصفته هل تجد الاهمال يأتى على هذا النظام والترتيب تبارك الله وتعالى عمّا يصفون اصف لك الآن يا مفضل الفؤاد اعلم انّ فيه ثقبا موجهة نحو الثقب التى فى الرّية تروّح عن الفؤاد حتّى لو اختلفت تلك الثقب وتزايل بعضها عن بعض لما وصل الرّوح الى الفؤاد ولهلك الانسان افيستجيز ذو فكرة وروية ان يزعم انّ مثل هذا يكون بالاهمال ولا يجد شاهدا من نفسه ينزعه عن هذا القول لو رايت فردا من

صفحه

مصراعين فيه [illegible]
زوج يتوهم انه جعل كالآلات
[illegible] ليستعمل
بالمعنى بل [illegible] مصنوع
ضرورة انه [illegible]
لكى [illegible] من العلم
فى اجتماعهما [illegible] من ان
فهكذا العبد الذكر [illegible] مزدوج
كانه فرد [illegible] من زوج [illegible] ان
منفرد بانثى [illegible] النسل
لما فيه من الله [illegible] وحسب
وبقائه [illegible]
ونعمة كيف [illegible]
هذا [illegible] النسل العجيب
حتى [illegible] التراب والتجبل
فيها لو كان [illegible] يصل
[illegible] حتى يضع
[illegible] الجسم [illegible]

النّطفة فيه ولو كانت منعظا ابدا كيف كان الرجل يتقلّب فى الفراش او يمشى بين النّاس وشيئ شاخص امامه ثمّ يكون فى ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة فى كلّ وقت من الرّجال والنساء جميعا فقدّر الله جلّ اسمه ان يكون اكثر ذلك لا يبدو للبصر فى كلّ وقت ولا يكون على الرّجال منه مؤونة بل جعل فيه القوّة على الانتصاب وقت الحاجة الى ذلك لما قدّر ان يكون فيه من دوام النسل وبقائه اعتبر الآن يا مفضّل تعظيم النعمة على الانسان فى مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الاذى اليس من حسن التقدير فى بناء الدّار ان يكون الخلاء فى استر موضع منها فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيّأ للخلاء من الانسان فى استر موضع منه فلم يجعله بارزا من خلفه ولا ناشرا من بين يديه بل هو مغيّب فى موضع غامض من البدن مستور محجوب يلتقى عليه الفخذان وتحجبه الاليتان بما عليهما من اللحم فيواريانه فاذا احتاج الانسان الى الخلاء وجلس تلك الجلسة الفى ذلك المنفذ منه منصبّا مهيّأ لانحدار الثقل فتبارك من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعماؤه فكّر يا مفضّل فى هذه الطّواحن التى جعلت للانسان فبعضها حداد يقطع الطّعام ويقرضه وبعضها عراض يمضغه ويرضّه فلم ينقص واحدة من الصنعتين اذ كان محتاجا اليهما جميعا تامّل واعتبر بحسن التدبير فى خلق الشعر والاظفار فانّهما لمّا كان ممّا يطول ويكثر حتّى يحتاج الى تخفيفه اوّلا فاوّلا جعلا عديمى الحسّ لئلّا يولم الانسان الاخذ منهما ولو كان قصّ الشعر

صفحه

ويقلم [illegible] منافع
الاظفار [illegible] من ذلك بين
لكان الانسان من ذلك [illegible]
الكره [illegible] فيثقل عليه
منها حتى يطول [illegible]
وانما ان يخففه [illegible] ولم يجعل ذلك
النقص [illegible] الانسان
منه [illegible] يحتاج الانسان
خلقته لا [illegible] الله
النقصان [illegible] على [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] ان الاظفار
ولعل [illegible] عليها [illegible]
وينقص فهما [illegible] الشعر
ولذلك [illegible] خروج [illegible] من انامله
ويخرج الاظفار من الانسان بالنمو
وللسلامة [illegible] قصّ الاظفار
وحلق الرأس [illegible] الشعر والاظفار
[illegible] الاظفار [illegible]
والنبات [illegible]
خروجهما [illegible]
فى البدن [illegible]

ومنع مع ذلك من المواضع التي تضر بالانسان ويحدث عليه الفساد
والضرر لو نبت في الفم الم يكن سيغص على الانسان طعامه وشرابه
ولو نبت في باطن الكف الم يكن سيعوقه عن صحة اللمس وبعض الاعمال
ولو نبت في فرج المرءة او على ذكر الرجل الم يكن سيفسد عليهما لذة
الجماع فانظر كيف تنكب الشعر هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة ثم
ليس هذا في الانسان فقط بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات
فانك ترى اجسامها مجللة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا
السبب بعينه فتامل الخلقة كيف يتحرز وجوه الخطاء والمضرة وتاتي بالصواب
والمنفعة ان المنانية واشباههم حين اجتهدوا في عيب الخلقة
والعمد عابوا الشعر النابت على الركب والابطين ولم يعلموا ان ذلك من رطوبة
تنصب الى هذه المواضع فينبت فيها هذا الشعر كما ينبت العشب في مستنقع
المياه افلا ترى الى هذه المواضع استر واهيا لقبول تلك الفضلة
من غيرها ثم ان هذه تعد مما يحمل الانسان مؤنة هذا البدن وتكاليفه
لما له في ذلك من المصلحة فان اهتمامه بتنظيف بدنه واخذ ما يعلوه من
الشعر مما يكسر به شرته ويكف عاديته ويشغله عن بعض ما يخرجه اليه الفراغ
من الاشر والبطالة تامل من الريق وما فيه من المنفعة فانه جعل يجري
جريانا دائما الى الفم ليبل الحلق واللهوات ولا يجف فان هذه المواضع
لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الانسان ثم كان لا يستطيع ان يسيغ
طعاما اذا لم يكن في الفم بلة تنفذه وتشهد بذلك المشاهدة واعلم

هذا لو كان هكذا كان اول ما فيه انه كان يسقط عن الانسان
الوجل من الامراض والموت وكان يستشعر البقاء ويغتر بالصحة
فيخرجه ذلك الى العتو والاشر ثم كانت الرطوبات التي في البطن
تترشح وتتحلب فيفسد على الانسان مقعده ومرقده وثياب
بذلته وزينته بل كان يفسد عليه عيشه ثم ان المعدة والكبد
والفؤاد انما تفعل افعالها بالحرارة الغريزية التي جعلها محتبسة
في الجوف فلو كان في البطن فرج ينفتح حتى يصل البصر الى رؤيته
واليد الى علاجه لوصل برد الهواء الى الجوف فمازج الحرارة الغريزية
وبطل عمل الاحشاء وكان في ذلك هلاك الانسان افلا ترى
ان كل ما تذهب اليه الاوهام سوى ما جرت به الخلقة خطاء وخطل
تامل في الافعال التي جعلت في الانسان من الطعم والنوم والجماع وما دبر
فيها فانه جعل لكل واحد منها في الطباع نفسه محرك يقتضيه ويستحث
به فالجوع يقتضي الطعم الذي به حيوة البدن وقوامه والكرى يقتضي
النوم الذي فيه راحة البدن واجمام قواه والشبق يقتضي الجماع الذي
فيه دوام النسل وبقاؤه ولو كان الانسان انما يصير الى اكل الطعام
لمعرفته بحاجة بدنه اليه ولم يجد من طباعه شيئا يضطره الى ذلك
كان خليقا ان يتوانا عنه احيانا بالثقل والكسل حتى ينحل بدنه
فيهلك كما يحتاج الواحد الى الدواء لشيء مما يصلح به بدنه فيدافع به حتى
يؤديه ذلك الى المرض والموت وكذلك لو كان انما يصير الى النوم

تستخرج صفوه وتنشّه فى البدن وقوة دافعة تدفعه وتحدر الثفل الفاضل بعد اخذ الهاضمة حاجتها ففكر فى تقدير هذه القوى الاربعة التى فى البدن وافعالها وتقديرها للحاجة اليها والارب فيها وما فى ذلك من التدبير والحكمة فلولا الجاذبة كيف يتحرك الانسان لطلب الغذاء الذى بها قوام البدن ولولا الممسكة كيف كان يلبث الطعام فى الجوف حتى تهضمه المعدة ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذى يغذو البدن ويسد خلله ولولا الدافعة كيف كان الثفل الذى تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج اولا فاولا افلا ترى كيف وكل الله سبحانه وتعالى بلطف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه صلاحه وسامثل لك فى ذلك مثالا ان البدن بمنزلة دار الملك وله فيها حشم وصبية وقوام موكلون بالدار فواحد لاقضاء حوائج الحشم وايرادها عليهم واخر لقبض ما يرد وخزنه الى ان يعالج ويهيأ واخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفرقته واخر لتنظيف ما فى الدار من الاقذار واخراجه منها فالملك فى هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين والدار هى البدن والحشم هى الاعضاء والقوام هى هذه القوى الاربع ولعلك ترى ذكرنا هذه القوى الاربع وافعالها بعد الذى وصفت فضلا وتزدادا وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التى ذكرت فى كتب الاطباء ولا قولنا فيها كقولهم لانهم ذكروها على ما يحتاج اليه فى صناعة الطب وتصحيح الابدان وانا ذكرناها على ما يحتاج فى صلاح الدين وشفاء النفوس من الغى كالذى اوضحته بالوصف الشافى والمثل

دينا ولا ينتفع بتجربة ولا يستطيع ان يعتبر شيئا على ما مضى بل كان خليقا ان ينسلخ من الانسانية اصلا فانظر الى النعمة على الانسان فى هذه الخلال وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع واعظم من النعمة على الانسان فى الحفظ النعمة فى النسيان فانه لولا النسيان لما سلا احد عن مصيبة ولا انقضت له حسرة ولا مات له حقد ولا استمتع بشىء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات ولا رجا غفلة من سلطان ولا فترة من حاسد افلا ترى كيف جعل فى الانسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان وجعل له فى كل منهما ضرب من المصلحة وما عسى ان يقول الذين قسموا الاشياء بين خالقين متضادين فى هذه الاشياء المتضادة المتباينة وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة انظر يا مفضل الى ما خص به الانسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق الجليل قدره العظيم غناؤه اعنى الحياء فلولاه لم يقر ضيف ولم يوف بالعدات ولم تقض الحوائج ولم يتحر الجميل ولم يتنكب القبيح فى شىء من الاشياء حتى ان كثيرا من الامور المفترضة ايضا انما يفعل للحياء فان من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم ولم يؤد امانة ولم يعف عن فاحشة افلا ترى كيف وفى الانسان جميع الخلال التى فيها صلاحه وتمام امره تامل يا مفضل ما انعم الله تقدست اسماؤه به على الانسان من هذا النطق الذى يعبر به عما فى ضميره وما يخطر بقلبه وينتجه فكره به يفهم عن غيره

مما يخلص اليه بالحيلة والفطنة وليست مما اعطيه الانسان من خلقه
وطباعه وكذلك الكلام انما هو شيء يصطلح عليه الناس فيجري
بينهم ولهذا صار يختلف في الامم المختلفة بالسن مختلفة وكذلك الكتابة
ككتابة العربي والسرياني والعبراني والرومي وغيرها من سائر الكتابة
التي هي متفرقة في الامم انما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام
فيقال لمن ادعى ذلك ان الانسان وان كان له في الامرين جميعا
فعل او حيلة فان الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية
وهبة من الله عز وجل له في خلقته فانه لو لم يكن له لسان مهيأ للنطق
للكلام وذهن يهتدي به للامور لم يكن ليتكلم ابدا ولو لم يكن له كف
مهيأة واصابع للكتابة لم يكن ليكتب ابدا واعتبر ذلك من البهائم
التي لا كلام لها ولا كتابة فاصل ذلك فطرة الباري عز وجل
وما تفضل به على خلقه فمن شكر اثيب ومن كفر فان الله غني عن
العالمين فكر يا مفضل فيما اعطي الانسان علمه وما منع فانه اعطي
علم جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه فمما فيه صلاح دينه معرفة
الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق ومعرفة
الواجب عليه من العدل على الناس كافة وبر الوالدين واداء الامانة
ومواساة اهل الخلة واشباه ذلك مما قد توجد معرفته والاقرار
والاعتراف به في الطبع والفطرة من كل امة موافقة او مخالفة وكذلك
اعطي علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة والغراس واستخراج الارضين

واقتناء الاغنام و
الانعام واستنباط المياه
ومعرفة العقاقير التي
يستشفى بها من ضروب
الاسقام والمعادن التي
تستخرج منها انواع الجواهر
وركوب السفن والغوص
في البحر وضروب الحيل في
صيد الوحش والطير
والحيتان والتصرف في
الصناعات ووجوه المتاجر
والمكاسب وغير ذلك مما
يطول شرحه ويكثر تعداده
مما فيه صلاح امره في هذه
الدار فاعطي علم ما يصلح
به دينه ودنياه ومنع ما
سوى ذلك مما ليس في شأنه
ولا طاقته ان يعلم كعلم الغيب
وما هو كائن وبعض ما

قد كان ايضا كعلم ما فوق السماء وما تحت الارض وما في لجج البحار
واقطار العالم وما في قلوب الناس وما في الارحام واشباه هذا
مما حجب على الناس علمه وقد ادعت طائفة من الناس هذه
الامور فابطل دعواهم ما تبين من خطائهم فيما يقضون عليه ويحكمون
به فيما ادعوا علمه فانظر كيف اعطي الانسان علم جميع ما يحتاج اليه
لدينه ودنياه وحجب عنه ما سوى ذلك ليعرف قدره ونقصه وكلا
الامرين فيهما صلاحه تامل يا مفضل ما ستر عن الانسان علمه من
مدة حياته فانه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش
مع ترقب الموت وتوقعه لوقت قد عرفه بل كان يكون بمنزلة من
قد فني ماله او قارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من فناء
ماله وخوف الفقر على ان الذي يدخل على الانسان من فناء العمر
اعظم مما يدخل عليه من فناء المال لان من يقل ماله يامل ان يستخلف
منه فيسكن الى ذلك ومن ايقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس وان كان
طويل العمر ثم عرف ذلك وثق بالبقاء وانهمك في اللذات والمعاصي
وعمل على انه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب في آخر عمره وهذا مذهب
لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله الا ترى لو ان عبدا لك عمل على انه
يسخطك سنة ويرضيك يوما او شهرا لم تقبل ذلك منه ولم يحل
عندك محل العبد الصالح دون ان يضمر طاعتك ونصحك في كل
الامور في كل الاوقات على تصرف الحالات فان قلت اوليس قد

يقيم الانسان على المعصية
حينا ثم يتوب فتقبل توبته
قلنا ان ذلك انما يكون من
الانسان لغلبة الشهوات له و
تركه مخالفتها من غير ان يقدرها
في نفسه ويبني عليه امره
فيصفح الله عنه ويتفضل عليه
بالمغفرة فاما من قدر امره
على ان يعصي ما بدا له ثم يتوب
آخر ذلك فانما يحاول خديعة
من لا يخادع بان يتسلف التلذذ
في العاجل ويعد ويمني نفسه
التوبة في الآجل ولانه لا يفي
بما يعد من ذلك فان النزوع
من الترفه والتلذذ ومعاناة
التوبة ولا سيما عند الكبر
وضعف البدن امر صعب ولا يؤمن
على الانسان مع مدافعته بالتوبة
ان يرهقه الموت

فيخرج من الدنيا غير تائب كما قد يكون على الواحد دين الى اجل وقد يقدر على قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتى يحل الاجل وقد نفد المال فيبقى الدين قائما عليه فكان خير الاشياء للانسان ان يستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقب الموت فيترك المعاصى ويؤثر العمل الصالح فان قلت وها هو الآن قد ستر عنه مقدار حيوته وصار يترقب الموت فى كل ساعة يقارف الفواحش وينتهك المحارم قلنا ان وجه التدبير فى هذا الباب هو الذى جرى عليه الامر فيه فان كان الانسان مع ذلك لا يرعوى ولا ينصرف عن المساوى فانما ذلك من مرحه ومن قساوة قلبه لا من خطاء فى التدبير كما ان الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به فان كان المريض مخالفا لقول الطبيب لا يعمل بما يامره ولا ينتهى عما ينهاه عنه لم ينتفع بصفته ولم يكن الاساءة فى ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه ولئن كان الانسان مع ترقبه للموت كل ساعة لا يمتنع عن المعاصى فانه لو وثق بطول البقاء كان احرى ان يخرج الى الكبائر الفظيعة فترقب الموت على كل حال خير له من الثقة بالبقاء ثم ان ترقب الموت وان كان صنف من الناس يلهون عنه ولا يتعظون به فقد يتعظ به صنف آخر منهم وينزعون عن المعاصى ويؤثرون العمل الصالح ويجودون بالاموال والعقائل النفيسة فى الصدقة على الفقراء والمساكين فلم يكن من العدل ان يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة ليضيع

صفحه

اولئك حظهم منها فكر فى الاحلام كيف دبر الامر فيها فمزج صادقها بكاذبها فانها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم انبياء ولو كانت كلها تكذب لم يكن فيها منفعة بل كانت فضلا لا معنى له فصارت تصدق احيانا فينتفع بها الناس فى مصلحة يهتدى لها او مضرة يتحذر منها و تكذب كثيرا لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد فكر فى هذه الاشياء التى تراها موجودة معدة فى العالم من مآربهم فالتراب للبناء والحديد للصناعات والخشب للسفن وغيرها والحجارة للارحاء وغيرها والنحاس للاوانى و الذهب والفضة

للمعاملة والجوهر للذخيرة والحبوب للغذاء والثمار للتفكه واللحم للمأكل والطيب للتلذذ والادوية للتصحيح والدواب للحمولة والحطب للتوقد والرماد للكلس وكم عسى ان يحصى المحصى من هذا وشبهه ارايت لو ان داخلا دخل دارا فنظر الى خزائن مملوة من كل ما يحتاج اليه الناس ورأى كل ما فيها مجموعا معدا لاسباب معروفة أكان يتوهم ان مثل هذا يكون بالاهمال ومن غير عمد فكيف يستجيز قائل ان يقول هذا فى العالم وما اعد فيه من هذه الاشياء يا مفضل باشياء خلقت لمآرب الانسان وما فيها من التدبير فانه خلق له الحب لطعامه وكلف طحنه وعجنه وخبزه وخلق له الوبر لكسوته فكلف ندفه وغزله ونسجه وخلق له الشجر فكلف غرسها وسقيها والقيام عليها وخلقت له العقاقير والادوية فكلف لقطها وخلطها وصنعها وكذلك تجد سائر الاشياء على هذا المثال فانظر كيف كفى الخلقة التى لم يكن عنده فيها حيلة وترك عليه فى كل شئ من الاشياء موضع عمل و حركة لما له فى ذلك من الصلاح لانه لو كفى هذا كله حتى لا يكون له فى الاشياء موضع شغل وعمل لما حملته الارض اشرا وبطرا والبلغ بذلك الى ان يتعاطى امورا فيها تلف نفسه ولو كفى الناس كلما يحتاجون اليه لما هنئوا بالعيش ولا وجدوا له لذة الا ترى لو ان امرء نزل بقوم فاقام حينا بلغ جميع ما يحتاج اليه من مطعم ومشرب وخدم لتبرم بالفراغ ونازعته نفسه الى التشاغل بشئ فكيف لو كان طول عمره

صفحه

مكفيا لا يحتاج الى شئ وكان من صواب التدبير فى هذه الاشيا التى خلقت للانسان ان جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة وتكفه عن تعاطى ما لا يناله ولا خير فيه ان ناله واعلم يا مفضل ان راس معاش الانسان وحياته الخبز والماء فانظر كيف دبر الامر فيهما فان حاجة الانسان الى الماء اشد من حاجته الى الخبز وذلك ان صبره على الجوع اكثر من صبره على العطش والذى يحتاج اليه من الماء اكثر مما يحتاج اليه من الخبز لانه يحتاج اليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقى انعامه وزرعه فجعل الماء مبذولا لا يشترى لتسقط عن الانسان المؤنة فى

طلبه وتكلفه وجعل الخبز متعذراً لا ينال الا بالحيلة والحركة
ليكون للانسان فى ذلك شغل يكفه عما يخرجه اليه الفراغ من
الاشر والعبث الا ترى ان الصبى يدفع الى المؤدب وهو طفل
لم يكمل ذهنه للتعليم ليشتغل عن اللعب والعبث اللذين ربما جنيا
عليه وعلى اهله المكروه العظيم وهكذا الانسان لو خلا من الشغل لخرج من
الاشر والعبث والبطر الى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه واعتبر
ذلك بمن نشأ فى الجدة ورفاهية العيش والترفه والكفاية وما يخرجه
ذلك اليه فاعتبر لم لا يتشابه الناس واحداً بالاخر كما تتشابه الوحوش
والطير وغير ذلك فانك ترى السرب من الظباء والقطاء تتشابه حتى
لا يفرق بين واحدة منها وبين الاخرى وترى الناس مختلفة صورهم
وخلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان فى صفة واحدة والعلة
فى ذلك ان الناس محتاجون الى ان يتعارفوا باعيانهم وحلاهم لما
يجرى بينهم من المعاملات وليس يجرى بين البهائم مثل ذلك
فيحتاج الى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته الا ترى ان التشابه
فى الطير والوحش لا يضرها شيئاً وليس كذلك الانسان فانه ربما
تشابه التوامان تشابهاً شديداً فتعظم المؤنة على الناس فى معاملتهما
حتى يعطى احدهما بالاخر ويؤخذ احدهما بذنب الاخر وقد يحدث مثل
هذا فى تشابه الاسماء فضلاً عن تشابه الصور فمن لطف بعباده
بهذه الدقائق التى لا يكاد يخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب

تنمو حتى تصل الى غاياتها ثم تقف لا تزيد والغذاء مع ذلك دائم
لا ينقطع ولو كانت تنمو نمواً دائماً لعظمت ابدانها واشتبهت مقاديرها
حتى لا يكون لشئ منها حد يعرف ولم صارت اجسام الانس خاصة
تثقل عن الحركة والمشى وتجفو عن الصناعات اللطيفة الا لتعظيم
المؤنة فيما يحتاج اليه الناس للملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك لو
كان الانسان لا يصيبه الم ولا وجع بم كان يرتدع عن الفواحش و
يتواضع لله ويتعطف على الناس اما ترى الانسان اذا عرض
له وجع خضع واستكان ورغب الى ربه فى العافية وبسط يديه
بالصدقة ولو كان لا يألم من الضرب بم كان السلطان يعاقب
الدعار ويذل العصاة المردة وبم كان الصبيان يتعلمون العلوم
والصناعات وبم كان العبيد يذلون لاربابهم ويذعنون
لطاعتهم افليس هذا توبيخ لابن ابى العوجاء الذين جحدوا التدبير
والمانية الذين انكروا الالم والوجع لو لم يولد من الحيوان الا ذكور
او اناث فقط الم يكن النسل منقطعاً وباد مع ذلك اجناس الحيوان
فصار بعض الاولاد يأتى ذكوراً وبعضها يأتى اناثاً ليدوم التناسل
ولا ينقطع لم صار الرجل والمرأة اذا ادركا تنبت لهما العانة ثم تنبت
اللحية للرجل وتتخلف عن المرأة لولا التدبير فى ذلك فانه لما جعل الله
تبارك وتعالى الرجل قيماً ورقيباً على المرأة وجعل المرأة عرساً
وخولاً للرجل اعطى الرجل اللحية لما له من العز والجلالة والهيبة

الخول وهو من يقع على العبد والامة صحاح

و

المجلس الثاني

قال المفضل فلما كان اليوم الثاني بكرت الى مولاي فاستؤذن لي فدخلت فامرني بالجلوس فجلست فقال الحمد لله مدبر الادوار ومعيد الاكوار طبقاً عن طبق وعالماً بعد عالم ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى عدلاً منه تقدست اسمائه وجلت آلائه لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون يشهد بذلك قوله جل قدسه فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره في نظائر لها في كتابه الذي فيه تبيان كل شيء ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولذلك قال سيدنا محمد صلوات الله عليه وآله انما هي اعمالكم ترد اليكم ثم اطرق هنيئة ثم قال يا مفضل الخلق حيارى عمهون سكارى في طغيانهم يترددون وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون بصراء عمي لا يبصرون نطقاء بكم لا يعقلون سمعاء صم لا يسمعون رضوا بالدون وحسبوا انهم مهتدون حادوا عن مدرجة الاكياس ورتعوا في مرعى الارجاس الانجاس كانهم من مفاجاة الموت آمنون وعن المجازاة مزحزحون يا ويلهم ما اشقاهم واطول عنائهم واشد بلائهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون الا من رحم الله قال المفضل فبكيت لما سمعت منه فقال لا تبك تخلصت اذ قبلت ونجوت اذ عرفت ثم قال عليه السلام ابتدئ لك بذكر الحيوان ليتضح لك من امره ما وضح لك من غيره فكر يا مفضل في ابنية ابدان

بمنزلة الجلد فان جاز ان يكون الحيوان المتحرك حدث بالاهمال من غير صانع جاز ان يكون ذلك في هذه التماثيل الميتة فان كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحري ان لا يجوز في الحيوان وفكر بعد هذا في اجساد الانعام فانها حين خلقت على ابدان الانس من اللحم والعظم والعصب اعطيت ايضاً السمع والبصر ليبلغ الانسان حاجته فانها لو كانت عمياء صماء لما انتفع بها الانسان ولا تصرفت في شيء من مآربه ثم منعت الذهن والعقل لتذل للانسان فلا تمتنع عليه اذا كدها الكد الشديد وحملها الحمل الثقيل فان قال قائل انه قد يكون للانسان عبيد من الانس يذلون ويذعنون بالكد الشديد وهم مع ذلك غير عديمي العقل والذهن فيقال في جواب ذلك ان هذا الصنف من الناس قليل فاما اكثر الناس فلا يذعنون بما تذعن به الدواب من الحمل والطحن وما اشبه ذلك ولا يغرون بما يحتاج اليه منهم ثم لو كان الناس يزاولون مثل هذه الاعمال بابدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الاعمال لانه كان يحتاج مكان الجمل الواحد والبغل الواحد الى عدة اناسي فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتى لا يكون فيهم عنه فضل لشيء من الصناعات مع ما يلحقهم من التعب الفادح في ابدانهم والضيق والكد في معاشهم فكر يا مفضل في هذه الاصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها على ما هي عليه مما فيه صلاح كل واحد منها فالانس

ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الارض لتتهيأ للركوب والحمولة
تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان حين جعلت ذوات
اسنان حداد وبراثن شداد واشداق وافواه واسعة فانه لما
قدر ان يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك واعينت بسلاح
وادوات تصلح للصيد وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير
ومخالب مهيئة لفعلها ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت
مهيئة لفعلها ولو كانت الوحوش ذات مخالب كانت قد اعطيت ما لا
تحتاج اليه لانها لا تصيد ولا تاكل اللحم ولو كانت السباع ذوات اظلاف
كانت قد منعت ما تحتاج اليه اعني السلاح الذي تصيد وتتعيش
افلا ترى كيف اعطي كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه وطبقته
بل ما فيه بقاؤه وصلاحه انظر الان الى ذوات الاربع كيف تراها
تتبع امهاتها مستقلة بانفسها لا تحتاج الى الحمل والتربية كما يحتاج
اولاد الانس فمن اجل انه ليس عند امهاتها ما عند امهات البشر من
الرفق والعلم بالتربية والقوة عليها بالاكف والاصابع المهيأة
لذلك اعطيت النهوض والاستقلال بانفسها وكذلك ترى كثيرا
من الطير مثل الدجاج والقبج تدرج وتلقط حين تنقاب عنها البيض
فاما ما كانت منها ضعيفا لا نهوض فيه مثل فراخ الحمام واليمام والحمر
فقد جعل في الامهات فضل عطف عليها فصارت تمج الطعام
في افواهها بعد ما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها [illegible]

صفحه
حتى يستقل بانفسها ولذلك لم يرزق الحمام ما رزق [illegible] من الكثرة لتقوى الام على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكلا اعطي بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير انظر الى قوائم الحيوان كيف تأتي ازواجا لتتهيأ للمشي ولو كانت افرادا لم تصلح لذلك لان الماشي ينقل بعض قوائمه ويعتمد على بعض فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة وذو الاربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف لان ذا الاربع لو كان ينقل قائمتين من احد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر

لما يثبت على الارض كما لا يثبت السرير وما اشبهه فصار ينقل اليمنى
من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره وينقل الاخريين ايضا من خلاف
فيثبت على الارض ولا يسقط اذا مشى اما ترى الحمار كيف يذل للطحن
والحمولة وهو يرى الفرس مودعا منعما والبعير لا يطيقه عدة رجال
لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي والثور الشديد كيف كان يذعن
لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرث به والفرس الكريم يركب السيوف
والاسنة بالمواساة والقطيع من الغنم يرعاه رجل واحد ولو تفرقت
الغنم فاخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها وكذلك جميع الا
صناف المسخرة للانسان فبم كانت كذلك الا بانها عدمت العقل
والروية فانها لو كانت تعقل وتروي في الامور كانت خليقة
ان تلتوي على الانسان في كثير من مآربه حتى يمتنع الجمل على قائده
والثور على صاحبه وتتفرق الغنم عن راعيها واشباه هذا من
الامور وكذلك هذه السباع لو كانت ذا عقل وروية فتوازرت
على الناس كانت خليقة ان تجتاحهم فمن كان يقوم للاسد والذئاب
والنمور والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس افلا ترى كيف
حجر ذلك عليها وصارت مكان ما كان يخاف من اقدامها ونكايتها
تهاب مساكن وتحجم عنها ثم لا تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها الا با
الليل ومع صولتها كالخائف للانس بل مقموعة ممنوعة منهم ولولا
ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيقت عليهم ثم جعل في الكلب من بين

هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحفاظ له ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبه وذب الذعار عنه ويبلغ من محبته لصاحبه ان يبذل نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله ويألفه غاية الالف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة فلم طبع الكلب على هذا الالف الا ليكون حارسا للانسان له عين بانياب ومخالب ونباح هائل ليذعر منه السارق ويتجنب المواضع التي يحميها ويخفرها يا مفضل تأمل وجه الدابة كيف هو [illegible]

ما بين يديها لئلا تصدم حائطاً او تتردى في حفرة وترى الفم
مشقوقاً شقاً في اسفل الخطم ولو شق كمكان الفم من الانسان في
مقدم الذقن لما استطاع ان يتناول به شيئاً من الارض الا
ترى ان الانسان لا يتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمة
على سائر الاكلات فلما لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف
ثم جعل خطمها مشقوقاً من اسفله لتقبض به على العلف ثم تقضمه
واعينت بالجحفلة ولتتناول بها ما قرب وما بعد اعتبر بذنبها
والمنفعة لها فيه فانه بمنزلة الطبق على الدبر والحياء جميعاً
يواريهما ويسترهما ومن منافعها فيه ان ما بين الدبر ومراقي
البطن منها وضر يجتمع عليه الذباب والبعوض فجعل لها الذنب
كالمذبة تذب بها عن ذلك الموضع ومنها ان الدابة تستريح
الى تحريكه وتصريفه يمنة ويسرة فانه لما كان قيامها على الاربع
باسرها وشغلت المقدمتان بحمل البدن عن التصرف والتقلب كان
لها في تحريك الذنب راحة وفيه منافع اخرى يقصر عنها الوهم يعرف
موقعها في وقت الحاجة اليها فمن ذلك ان الدابة ترتطم في الوحل
فلا يكون شيء اعون على نهوضها من الاخذ بذنبها وفي شعر الذنب
منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم ثم جعل ظهرها مسطوحاً
مبطوحاً على قوائم اربع ليتمكن من ركوبها وجعل حياها بارزاً من
ورائها ليتمكن الفحل من ضربها ولو كان الفرج من المرأة لم

صفحه
يتمكن الفحل منها الا ترى انه لا يستطيع ان يأتيها كفاحاً كما يأتي الرجل المرأة تأمل يا مفضل مشفر الفيل وما فيه من لطيف التدبير فانه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما الى جوفه ولولا ذلك ما استطاع ان يتناول شيئاً من الارض لانه ليست له رقبة يمدها كسائر الانعام فلما عدم العنق اعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله فيتناول به حاجته فمن ذا الذي عوضه مكان العضو الذي عدمه ما يقوم مقامه الا الرؤوف بخلقه وكيف يكون هذا بالاهمال كما قالت
الظلمة

يتمكن

الظالمون فان قال قائل فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الانعام قيل
له ان رأس الفيل واذنيه امر عظيم وثقل ثقيل فلو كان ذلك
على عنق عظيم لهدها واوهنها فجعل رأسه ملصقاً بجسمه لكيلا ينال
منه ما وصفنا وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به
غذاءه فصار مع عدمه العنق مستوفياً ما فيه بلوغ حاجته انظر
الآن كيف جعل حياء الانثى من الفيلة في اسفل بطنها فاذا هاجت للضراب
ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من ضربها فاعتبر كيف جعل حياء الانثى
من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الانعام ثم جعلت فيه هذه
الخلة ليتهيأ للامر الذي فيه قوام النسل ودوامه فكر في خلق الزرافة
واختلاف اعضائها وشبهها باعضاء اصناف من الحيوان فرأ
سها رأس فرس وعنقها عنق جمل واظلافها اظلاف بقرة و
جلدها جلد نمر وزعم ناس من الجهال بالله عز وجل ان نتا
جها من فحول شتى قالوا وسبب ذلك ان اصنافاً من حيوان
البر اذا وردت الماء تنزو على بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص
الذي هو كالملتقط من اصناف شتى وهذا جهل من قائله
وقلة معرفته بالباري جل شأنه وليس كل صنف من الحيوان يلقح
كل صنف فلا الفرس يلقح الجمل ولا الجمل يلقح البقر وانما يكون التلقيح
من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمار فيخرج
بينهما البغل ويلقح الذئب الضبع فيخرج من بينهما عضو من كل واحد

صفحه
منهما كما في الزرافة عضو من الفرس وعضو من الجمل واظلاف من البقرة بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما كالذي تراه في البغل فانك ترى رأسه واذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطاً بين هذه الاعضاء من الفرس والحمار وشحيجه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار فهذا دليل على انه ليس نتاج الزرافة من لقاح اصناف شتى من الحيوان كما زعم الجاهلون بل هو خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء وليعلم انه خالق اصناف الحيوان كلها يجمع بين ما يشاء من
اعضائها

اي الكفتار
كه آن حيوان را السبع ميگويند

منها

من الحفا اذا كانت لا ايدي لها ولا اكف ولا اصابع مهيئات للغزل والنسج فكفوا بان جعل كسوتهم في خلقهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون الى تجديدها واستبدالها فاما الانسان فانه ذو حيلة وكف مهيئة للعمل فهو ينسج ويغزل ويتخذ لنفسه الكسوة ويستبدلها حالا بعد حال وله في ذلك صلاح من جهات من ذلك انه يشتغل بصنعة اللباس عن العبث وما تخرجه اليه الكفاية ومنها انه ينزع كسوته اذا شاء ويلبسها اذا شاء ومنها ان يتخذ لنفسه من الكسوة ضروبا لها جمال وروعة فيتلذذ بلبسها

من اعضائها في ايها شاء ويفرق ما شاء منها في ايها ويزيد في الخلق ما يشاء وينقص منها ما يشاء دلالة على قدرته على الاشياء وانه لا يعجزه شيء اراده جل وتعالى فاما طول عنقها والمنفعة لها في ذلك فان منشاها ومرعاها في غياطل ذوات اشجار شاهقة ذاهبة طولا في الهواء فهي تحتاج الى طول العنق لتتناول بفيها اطراف تلك الاشجار فتقوت من ثمارها تامل خلقة القرد وشبهه بالانسان في كثير من اعضائه اعني الراس والوجه والمنكبين والصدر وكذلك احشاؤه ايضا شبيهة باحشاء الانسان وخص مع ذلك بالذهن والفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يومي اليه ويحكي كثيرا مما يرى الانسان يفعله حتى انه يقرب من خلق الانسان وشمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه ان يكون عبرة للانسان في نفسه فيعلم انه من طينة البهائم وسنخها اذ كان يقرب من خلقها هذا القرب وانه لولا فضيلة فضله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم على ان في جسم القرد فضولا اخرى يفرق بينه وبين الانسان كالخطم والذنب المسدل والشعر المجلل للجسم كله وهذا لم يكن مانعا للقرد ان يلحق بالانسان لو اعطي مثل ذهن الانسان وعقله ونطقه والفصل الفاصل بينه وبين الانسان بالصحة والنقص في العقل والذهن والنطق انظر يا مفضل الى لطف الله جل اسمه بالبهائم كيف كسيت اجسامهم هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف ليقيها من البرد وكثرة الآفات وكسيت الاظلاف والحوافر والاخفاف ليقيهن

وتبديلها وكذلك يتخذ بالرفق من الصنعة ضروبا من الخفاف والنعال يقي بها قدميه وفي ذلك معايش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معاشهم ومنها اقواتهم واقوات عيالهم فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة والاظلاف والحوافر والاخفاف مقام الحذاء فكر يا مفضل في خلقة عجيبة جعلت في البهائم فانهم يوارون انفسهم اذا ماتوا كما يواري الناس موتاهم والا فاين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شيء وليست قليلة فتخفى لقلتها بل لو قال قائل انها اكثر من الناس لصدق فاعتبر ذلك بما تراه في الصحاري والجبال من اسراب الظباء والمهاء والحمير والوعول والايايل وغير ذلك من الوحوش واصناف السباع من الاسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها وضروب الهوام والحشرات ودواب الارض وكذلك اسراب الطير من الغربان والقطا والاوز والكراكي والحمام وسباع الطير جميعا وكلها لا يرى منها اذا ماتت الا الواحد بعد الواحد ياخذها الصياد او يفترسه سبع فاذا احسوا بالموت كمنوا في مواضع خفية فيموتون فيها ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهواء وتحدث الامراض والوباء فانظر الى هذا الذي يخلص اليه الناس وعملوه بالتمثيل الاول الذي مثل لهم كيف جعل طبعا وادكارا في البهائم وغيرها ليسلم الناس من معرة ما يحدث عليهم من الامراض والفساد فكر يا مفضل في الفطن التي جعلت في

البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفا من الله عز وجل لهم لئلا يخلو من نعمه عز وجل احد من خلقه لا بعقل وروية فان الايل ياكل الحيات فيعطش عطشا شديدا فيمتنع من شرب الماء خوفا من ان يدب السم في جسمه فيقتله ويقف على الغدير وهو مجهود عطشا فيعج عجيجا عاليا ولا يشرب منه ولو شرب لمات من ساعته فانظر الى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمل الظمأ الغالب خوفا من المضرة في الشرب وذلك مما لا يكاد الانسان العاقل المميز يضبطه من نفسه والثعلب اذا اعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه حتى يحسبه الطير ميتا فاذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فاخذها

اعان الثعلب العديم النطق والروية بهذه الحيلة الا من توكل بتوجيه
الرزق له من هذا او شبهه فانه لما كان الثعلب يضعف عن كثير
مما يقوى عليه السباع من مساورة الصيد اعين بالدهاء والفطنة
والاحتيال لمعاشه والدلفين يلتمس صيد الطير فيكون حيلته في ذلك
ان ياخذ السمك فيقتله ويسرحه حتى يطفو على الماء ثم يكمن تحته ويثور الماء
الذي عليه حتى لا يتبين شخصه فاذا وقع الطير على السمك الطافي وثب
اليها فاصطادها فانظر الى هذه الحيلة كيف جعلت طبعا في هذه البهيمة
لبعض المصلحة قال المفضل فقلت اخبرني يا مولاي عن التنين والسحاب
فقال ان السحاب كالموكل به يختطفه حيثما ثقفه كما يختطف حجر المغناطيس
الحديد فهو لا يطلع راسه في الارض خوفا من السحاب ولا يخرج الا في
القيظ مرة واذا اصحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيمة قلت فلم وكل
السحاب بالتنين يرصده ويختطفه اذا وجده قال ليدفع عن الناس مضرته
قال المفضل فقلت قد وصفت لي يا مولاي من امر البهائم ما فيه معتبر
لمن اعتبر فصف لي الذرة والنمل والطير فقال يا مفضل تامل وجه الذرة
الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصا عما فيه صلاحها فمن اين هذا التقدير
والصواب في خلق الذرة الا من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره انظر
الى النمل في احتشادها في جمع القوت واعداده فانك ترى الجماعة منها اذا نقلت
الحب الى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام او غيره بل للنمل في
ذلك من الجد والتشمير ما ليس للانسان مثله اما تراهم يتعاونون على

اخذه واشتمل عليه بجسمه كله مخافة ان ينجو منه فلا يزال قابضا
عليه حتى يحس بانه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه
ويحيا منه فاما العنكبوت فانه ينسج ذلك النسج فيتخذه شركا ومصيدة
للذباب ثم يكمن في جوفه فاذا نشب فيه الذباب اجال عليه يلدغه
ساعة بعد ساعة فيعيش بذلك منه فذلك يحكي صيد الكلاب
والفهود وهذا يحكي صيد الاشراك والحبائل فانظر الى هذه الدويبة الضعيفة
كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه الانسان الا بالحيلة واستعمال الآلات فيها فلا
تزدر بالشيء اذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة وما اشبه ذلك
فان المعنى النفيس قد يمثل بالشيء الحقير فلا يضعه ذلك كما لا يضع
الدينار وهو من ذهب ان يوزن بمثقال من حديد تامل يا مفضل
جسم الطائر وخلقته فانه حين قدر ان يكون طائرا في الجو خفف جسمه
وادمج خلقه فاقتصر به من القوائم الاربع على اثنتين ومن الاصابع الخمس
على اربع ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما ثم خلق ذا جؤجؤ محدد
ليسهل عليه ان يخرق الهواء كيف ما اخذ فيه كما جعل السفينة بهذه
الهيئة لتشق الماء وتنفذ فيه وجعل في جناحيه وذنبه ريشات
طوال متان لينهض بها للطيران وكسي كله الريش ليتداخله الهواء فيقله
ولما قدر ان يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعا بلا مضغ نقص
من خلقه الاسنان وخلق له منقار صلب جاس يتناول به طعمه
فلا ينسحج من لقط الحب ولا يتقصف من نهش اللحم ولما عدم الاسنان

يقبل عليه فيزقه الريح لتتسع حوصلته للغذاء ثم يربيه ويغذيه بما يعيش
به فمن كلفه ان يلقط الطعم ويستخرجه بعد ان يستقر في حوصلته ويغذو به
فراخه ولاي معنى يحتمل هذه المشقة وليس بذي روية ولا تفكر ولا يأمل
في فراخه ما يأمل الانسان في ولده من العز والرفد وبقاء الذكر فهذا
من فعله يشهد بانه معطوف على فراخه لعلة لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام
النسل وبقاؤه لطفا من الله تعالى ذكره انظر الى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض
والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطى بل تنبعث وتنتفخ وتقوقي وتمتنع
من الطعم حتى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ فلم كان ذلك منها الا لاقامة
النسل ومن اخذها باقامة النسل ولا روية ولا تفكر لولا انها مجبولة على
ذلك اعتبر بخلق البيضة وما فيها من المخ الاصفر الخاثر والماء الابيض
الرقيق فبعضه لينتشر منه الفرخ وبعضه ليغتذي به الى ان تنقاب
عنه البيضة وما في ذلك من التدبير فانه لو كان نشو الفرخ في تلك
القشرة المستحصفة التي لا مساغ لشيء اليها جعل معه في جوفها من الغذاء
ما يكتفي به الى وقت خروجه منها كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل الى من فيه
فيجعل معه من القوت ما يكتفي به الى وقت خروجه منه فكر في حوصلة
الطائر وما قدر له فان مسلك الطعم الى القانصة ضيق لا ينفذ فيه
الطعام الا قليلا قليلا فلو كان الطائر لا يلتقط حبة ثانية حتى
تصل الاولى الى القانصة لطال عليه ومتى كان يستوفي طعمه فانما
يختلسه اختلاسا لشدة الحذر فجعلت الحوصلة كالمخلاة المعلقة امامه

منسوجا كنسج الثوب من سلوك دقاق قد الف بعضه على بعض
كتاليف الخيط الى الخيط والشعرة الى الشعرة ثم ترى ذلك النسج اذا مددته
ينفتح قليلا ولا ينشق لتداخله الريح فيقل الطائر اذا طار وترى
في وسط الريشة عمودا غليظا متينا قد نسج عليه الذي هو مثل الشعر
ليمسكه بصلابته وهو القصبة التي في وسط الريشة وهو مع ذلك اجوف
ليخف على الطائر ولا يعوقه عن الطيران هل رأيت يا مفضل هذا الطائر
الطويل الساقين وعرفت ما له من المنفعة في طول ساقيه فانه اكثر
ذلك في ضحضاح من الماء فتراه بساقين طويلين كانه ربيئة فوق
مرقب وهو يتامل ما يدب في الماء فاذا رأى شيئا مما يتقوت به
خطا خطوات رفيقا حتى يتناوله ولو كان قصير الساقين وكان
يخطو نحو الصيد لياخذه يصيب بطنه الماء فيثور ويذعر منه
فيتفرق عنه فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد
عليه مطلبه تامل ضروبا من التدبير في خلق الطائر فانك تجد كل
طائر طويل الساقين طويل العنق وذلك ليتمكن من تناول طعمه من الارض
ولو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع ان يتناول شيئا من الارض
وربما اعين مع طول العنق بطول المناقير ليزداد الامر عليه سهولة
له وامكانا افلا ترى انك لا تفتش شيئا من الخلقة الا وجدته على غاية
الصواب والحكمة انظر الى العصافير كيف تطلب اكلها بالنهار فهي لا
تفقده ولا تجده مجموعا معدا بل تناله بالحركة والطلب وكذلك الخلق

الجو لا يخلو منها موضع واعتبر ذلك فانك اذا وضعت سراجا بالليل
في سطح او عرصة دار اجتمع عليه من هذه الشيء كثير فمن اين يأتي ذلك
كله الا من القرب فان قال قائل انه يأتي من الصحاري والبراري قيل له كيف
يوافي تلك الساعة من موضع بعيد وكيف يبصر من ذلك البعد سراجا في دار
محفوفة بالدور فيقصد اليه مع ان هذه عيانا تتهافت على السراج من قرب
فيدل ذلك على انها منتشرة في كل موضع من الجو فهذه الاصناف من الطير
تلتمسها اذا خرجت فتتقوت بها فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التي
لا تخرج الا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجو واعرف مع ذلك
المعنى في خلق هذه الضروب التي عسى ان يظن ظان انه فضل لا معنى
له خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات الاربع وهو الى
ذوات الاربع اقرب وذلك انه ذو اذنين ناشزتين واسنان ووبر وهو
يلد ولادا ويرضع ويبول ويمشي اذا مشى على اربع وكل هذا خلاف صفة
الطير ثم هو ايضا مما يخرج بالليل ويتقوت مما يسري في الجو من الفراش
وما اشبهه وقد قال قائلون انه لا طعم للخفاش وان غذاءه من النسيم
وحده وذلك يفسد ويبطل من جهتين احدهما خروج الثفل والبول منه
والبول فان هذا لا يكون من غير طعم والاخرى انه ذو اسنان
ولو كان لا يطعم شيئا لم يكن للاسنان فيه معنى وليس في الخلقة شيء
لا معنى له واما المارب فيه فمعروفة حتى ان زبله يدخل في بعض الاعمال
ومن اعظم الارب فيه خلقته العجيبة الدالة على قدرة الله الخالق

في صنعة العسل وتهيئة البيوت المسدسة وما ترى في ذلك
من دقائق الفطنة فانك اذا تاملت العمل رايته عجيبا لطيفا
واذا رايت المعمول وجدته عظيما شريفا موقعه من الناس
واذا رجعت الى الفاعل الفيته غبيا جاهلا بنفسه فضلا عما
سوى ذلك ففي هذا اوضح الدلالة على ان الصواب والحكمة
في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي للذي طبعه عليها وسخره فيها
لمصلحة الناس انظر الى هذا الجراد ما اضعفه واقواه فانك اذا
تاملت خلقه رايته كاضعف الاشياء وان دلفت عساكره نحو
بلد من البلدان لم يستطع احد ان يحميه منه الا ترى ان ملكا
من ملوك الارض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر
على ذلك افليس من الدلائل على قدرة الخالق ان يبعث
اضعف خلقه الى اقوى خلقه فلا يستطيع دفعه انظر كيف
ينساب على وجه الارض مثل السيل فيغشى السهل والجبل
والبدو والحضر حتى يستر نور الشمس بكثرته فلو كان هذا مما
يصنع بالايدي متى كان يجتمع منه هذه الكثرة وفي كم من سنة
كان يرتفع فاستدل بذلك على القدرة التي لا يؤدها
شيء ولا يكثر عليها تامل خلق السمك ومشاكلته للامر الذي
قدر ان يكون عليه فانه خلق غير ذي قوائم لانه لا يحتاج الى
المشي اذ كان مسكنه الماء وخلق غير ذي رية لانه لا يستطيع

وما خص به من ذلك فانك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة والعلة في ذلك ان يتسع لما يغتذي به من اصناف الحيوان فان اكثرها ياكل السمك حتى ان السباع ايضا في حافات الآجام عاكفة على الماء ايضا كي ترصد السمك فاذا مر بها خطفته فلما كانت السباع تاكل السمك والطير ياكل السمك والناس ياكلون السمك والسمك ياكل السمك كان من التدبير فيه ان يكون على ما هو عليه من الكثرة فاذا اردت ان تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر الى ما في البحار من ضروب السمك ودواب الماء والاصداف والاصناف التي لا تحصى ولا تعرف منافعها الا الشيء بعد الشيء يدركه الناس باسباب تحدث مثل القرمز فانه انما عرف الناس صبغه بان كلبة تجوب على شاطئ البحر فوجدت شيئا من الصنف الذي يسمى الحلزون فاكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس الى حسنه فاتخذوه صبغا واشباه هذا مما يقف الناس عليه حالا بعد حال وزمانا بعد زمان قال المفضل وحان وقت الزوال فقام مولاي الى الصلوة وقال بكر الي غدا ان شاء الله تعالى فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجا بما منحنيه حامدا لله على ما آتانيه فبت ليلتي مسرورا مبتهجا بما رزقنيه الله جل جلاله من المعرفة

المجلس الثالث

بكرت الى مولاي فاستوذن لي بالدخول فدخلت فاذن لي بالجلوس فجلست

فقال

هذا اللون اشد الالوان موافقة للبصر وتقوية حتى ان من صفات الاطباء لمن اصابه شيء اضر ببصره ادمان النظر الى الخضرة وما قرب منها الى السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الاطلاع في اجانة خضراء مملوة ماء فانظر كيف جعل الله جل وتعالى اديم السماء بهذا اللون الاخضر الى السواد ليمسك الابصار المتقلبة عليه فلا ينكا فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذي ادركه الناس بالفكر والروية والتجارب يوجد مفروغا منه في الخلقة حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون ويفكر فيها الملحدون قاتلهم الله انى يؤفكون فكر يا مفضل في طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتي النهار والليل فلولا طلوعها لبطل امر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معايشهم ويتصرفون في امورهم والدنيا مظلمة عليهم ولم يكونوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذة النور وروحه والارب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن ذكره والزيادة في شرحه بل تامل المنفعة في غروبها فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع عظم حاجتهم الى الهدوء والراحة لسكون ابدانهم وجموم حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم نكايته في ابدانهم فان كثيرا من الناس لولا جثوم هذا الليل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدوء ولا قرار حرصا على الكسب والجمع والادخار ثم كانت الارض تستحمى بدوام الشمس

لضيائها

المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وتنور الأشجار ويهيج الحيوان
للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الأبدان
ويجف وجه الأرض فيتهيأ للبناء والأعمال وفي الخريف يصفو الهواء
وترتفع الأمراض وتصح الأبدان ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الأعمال
لطوله ويطيب الهواء فيه إلى مصالح أخرى لو تقصيت لذكرها لطال
الكلام فكر الآن يا مفضل في تنقل الشمس في البروج الاثني عشر
لإقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير فهو الدور الذي
يصح به الأزمنة الأربعة من السنة الشتاء والربيع والصيف و
الخريف ويستوفيها على التمام وفي هذا المقدار من دوران الشمس
تدرك الغلات والثمار وتنتهي إلى غاياتها ثم تعود فيستأنف النشو
والنمو ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل فبالسنة و
أخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله العالم إلى كل وقت وعصر من
غابر الأيام وبها يحسب الناس الأعمار والأوقات الموقتة للديون والإجارات
والمعاملات وغير ذلك من أمورهم وبمسير الشمس تكمل السنة ويقوم
حساب الزمان على الصحة انظر إلى شروقها على العالم كيف دبر أن يكون
فإنها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل
شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات لأن الجبال والجدران
كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع في أول النهار من المشرق فتشرق على ما
قابلها من وجه المغرب ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي

إلى

صفحه

إلى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار فلا يبقى موضع من المواضع إلا أخذ بقسطه من المنفعة منها والأرب التي قدرت له ولو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء أفلا يرى الناس كيف هذه الأمور الجليلة التي لم يكن عندهم فيها حيلة فصارت تجري على مجاريها لا تفتل ولا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه استدل بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامة في معرفة الشهور ولا يقوم عليه حساب السنة لأن دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة ونشو

الثمار

الثمار وتدبيرها ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخالف شهور
الشمس وسنيها وصارت الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرة
بالشتاء ومرة بالصيف فكر في إنارته في ظلمة الليل والإرب في
ذلك فإنه مع الحاجة إلى الظلمة لهدء الحيوان وبرد الهواء على النبات
لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها فلا يمكن فيه
شيء من العمل لأنه ربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم
في بعض الأعمال في النهار ولشدة الحر وإفراطه فيعمل في ضوء القمر
أعمالا شتى كحرث الأرض وضرب اللبن وقطع الخشب وما أشبه
ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معايشهم إذا احتاجوا إلى ذلك
وأنسا للسائرين وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض ونقص
مع ذلك من نور الشمس وضيائها لكيلا ينبسط الناس في العمل
انبساطهم بالنهار ويمتنعوا من الهدوء والقرار فيهلكهم ذلك وفي
تصرف القمر خاصة في مهله ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه
من التنبيه على قدرة الله خالقه المصرف له هذا التصريف
لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون فكر يا مفضل في النجوم و
اختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا
تسير إلا مجتمعة وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق
في مسيرها فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين أحدهما
عام مع الفلك نحو المغرب والآخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التي

تدور

تدور على الرحى فالرحى تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال والنملة في تلك تتحرك حركتين مختلفتين إحداهما بنفسها فتتوجه أمامها والأخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها إلى خلفها فاسأل الزاعمين أن النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال من غير عمد ولا صانع لها ما منعها أن تكون كلها راتبة أو تكون كلها منتقلة فإن الإهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير وليس بإهمال كما تزعم المعطلة

فإن

فان قال قائل ولم صار بعض النجوم راتبا وبعضها منتقلا قلنا انها
لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي تستدل بها على من تنقل
المنتقلة ومسيرها في كل برج من البروج كما قد يستدل على اشياء
مما يحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ولو كانت كلها
منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه لانه انما يوقف
بمسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الراتبة كما يستدل على سير السائر
على الارض بالمنازل التي يجتاز عليها ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلط
نظامها وبطلت المآرب فيها ولساغ لقائل ان يقول ان كينونتها على
حال واحدة توجب عليها الاهمال من الجهة التي وصفنا ففي اختلاف
سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة ابين دليل على العمد
والتدبير فيها فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب
في بعضها كمثل الثريا والجوزاء والشعريين وسهيل فانها لو كانت
باسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد منها على حياله دلالات
يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض امورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من
طلوع الثور والجوزاء اذا طلعت واحتجابها اذا احتجبت فصار ظهور
كل واحد واحتجابه في وقت غير الوقت الآخر لينتفع الناس بما يدل عليه
كل واحد منها على حدته كما جعلت الثريا واشباهها تظهر حينا وتحجب
حينا لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات نعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من
المصلحة فانها بمنزلة الاعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق

صفحه
الجدي ذلك انها لا تغيب
ولا تتوارى فهم ينظرون
اليها متى ارادوا ان يهتدوا
بها الى حيث شاؤوا وصار
الامران جميعا على اختلافهما
موجهين نحو الارب والمصلحة
وفيهما مآرب اخرى علامات
ودلالات على اوقات كثيرة
من الاعمال كالزراعة والغراس
والسفر في البر والبحر واشياء
مما يحدث في الازمنة من الامطار
والرياح والحر والبرد وبها يهتدي
السائرون في ظلمة الليل
لقطع القفار الموحشة
واللجج الهائلة مع ما في ترددها
في كبد السماء مقبلة ومدبرة
ومشرقة ومغربة من العبر
فانها تسير اسرع السير واحثه
ارايت لو كانت الشمس

والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه
ما هي عليه لم تكن تستخطف الابصار بوهجها وشعاعها كا
الذي يحدث احيانا من البروق اذا توالت واضطرمت في الجو و
كذلك ايضا لو ان اناسا كانوا في قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم
دورانا حثيثا لحارت ابصارهم حتى يخروا لوجوههم فانظر كيف قدر
ان يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر في الابصار وتنكأ فيها
وباسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها وجعل
فيها جزء يسير من الضوء ليسد مسد الاضواء اذا لم يكن قمر ويمكن
فيه الحركة اذا حدثت ضرورة كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج الى التجافي
في جوف الليل فان لم يكن شيء من الضوء يهتدي به لم يستطع ان
يبرح مكانه فتامل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل
للظلمة دولة ومدة لحاجة اليها وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب
التي وصفنا فكر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور
على العالم هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما
لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الازمان الاربعة المتوالية من التنبيه
على الارض وما عليها من اصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة
كالذي بينت وشخصت لك آنفا وهل يخفى على ذي لب ان هذا
تقدير مقدر وصواب وحكمة من مقدر حكيم فان قال قائل ان
هذا شيء اتفق ان يكون هكذا فما منعه ان يقول مثل هذا في دولاب

صفحه
تراه يدور ويسقي حديقة فيها
شجر ونبات فترى كل شيء
من آلته مقدرا بعضه يلقى بعضا
على ما فيه صلاح تلك الحديقة
وما فيها وبم كان يثبت هذا
القول لو قاله وما ترى الناس
كانوا قائلين له لو سمعوه منه
افينكر ان يقول في دولاب خشب مصنوع
بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من
الارض انه كان بلا صانع ومقدر
ويقدر ان يقول في هذا الدولاب
الاعظم المخلوق بحكمة يقصر عنها
اذهان البشر لصلاح جميع
الارض وما عليها انه شيء اتفق ان
يكون بلا صنعة ولا تقدير لو
اعتل هذا الفلك كما تعتل الآلات
التي تتخذ للصناعات وغيرها
اي شيء كان عند الناس
من الحيلة في اصلاحه

[illegible]

فكر يا مفضل في مقادير الليل والنهار كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل واحد منهما اذا امتد الى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك افرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة او مائتي ساعة الم يكن في ذلك بوار كل ما في الارض من حيوان ونبات اما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقر طول هذه المدة ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار ولا الانسان كان يفتر عن العمل والحركة وكان ذلك سينهكها اجمع ويؤديها الى التلف واما النبات فكان يطول عليه حر النهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق اصناف الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى تموت جوعا وتخمد الحرارة الطبيعية من النبات اذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس اعتبر بهذا الحر والبرد كيف يتعاوران العالم ويتصرفان هذا التصرف في الزيادة والنقصان والاعتدال لاقامة هذه الازمنة الاربعة من السنة وما فيهما من المصالح ثم هما بعد دباغ الابدان التي عليها بقاؤها وفيهما صلاحها فانه لولا الحر والبرد وتداولهما الابدان لفسدت واخوت وانتكثت فكر في دخول احدهما على الآخر بهذا التدريج والترسل فانك ترى احدهما ينقص شيئا بعد شيء والآخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان ولو كان دخول احدهما الى الآخر مفاجاة لاضر ذلك الابدان واسقامها

رطبة ويابسة ولولا البرد لما كان الزرع يفرخ ويريع الريع الكثير الذي يتسع للقوت وما يرد في الارض للبذر افلا ترى ما في الحر والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يؤلم الابدان ويمضها وفي ذلك عبرة لمن فكر ودلالة على انه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه وانبهك يا مفضل على الريح وما فيها الست ترى ركودها اذا ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد ان ياتي على النفوس ويمرض الاصحاء وينهك المرضى ويفسد الثمار ويعفن البقول ويعقب الوباء في الابدان والآفة في الغلات ففي هذا بيان ان هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق وانبئك عن الهواء بخلة اخرى فان الصوت اثر يؤثره اصطكاك الاجسام في الهواء والهواء يؤديه الى المسامع والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم فلو كان اثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه فكان يكربهم ويفدحهم وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به الى اكثر مما يحتاج اليه في تجديد القراطيس لان ما يلقى من الكلام اكثر مما يكتب فجعل الخالق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا خفيا يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحى فيعود جديدا نقيا ويحمل ما حمل ابدا بلا انقطاع وحسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة وما فيه من المصالح فانه حياة هذه الابدان والممسك لها من داخل بما تستنشق

الارض، فلولا الريح لذوى النبات لمات الحيوان وحمت الاشياء وفسدت
فكر يا مفضل فيما خلق الله عز وجل عليه هذه الجواهر الاربعة ليتسع
ما يحتاج اليه منها فمن ذلك سعة هذه الارض وامتدادها فلولا ذلك
كيف كانت تتسع لمساكن الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت اخشابهم واحطابهم
والعقاقير العظيمة والمعادن الجسيمة غناؤها ولعل من ينكر هذه الفلوات الخاوية
والقفار الموحشة فيقول ما المنفعة فيها فهي مأوى هذه الوحوش ومحالها
ومرعاها ثم فيها بعد متنفس ومضطرب للناس اذا احتاجوا الى الاستبدال
باوطانهم فكم بيدا وكم فدفد حالت قصورا وجنانا بانتقال الناس
اليها وحلولهم فيها ولولا سعة الارض وفسحتها لكان الناس كمن هو
في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه اذا حزبه امر يضطره الى
الانتقال عنه ثم فكر في خلق هذه الارض على ما هي عليه حين خلقت
راتبة راكنة فيكون موطنا مستقرا للاشياء فيتمكن الناس من السعي
عليها في مآربهم والجلوس عليها لراحتهم والنوم لهدوهم والاتقان
لاعمالهم فانها لو كانت رجراجة منكفئة لم يكونوا يستطيعون
يتقنوا البناء والتجارة والصناعة وما اشبه ذلك بل لو كانوا
لا يتهنون بالعيش والارض ترتج من تحتهم واعتبر ذلك بما
يصيب الناس في الزلازل على قلة مكثها حتى يصيروا الى ترك منازلهم
والهرب منها فان قال قائل فلم صارت هذه الارض تزلزل قيل له
ان الزلزلة وما اشبهها موعظة وترهيب يرهب بها الناس ليرعووا

وينزعوا عن المعاصي وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في ابدانهم واموالهم يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم ويدخر لهم ان صلحوا من الثواب في الآخرة ما لا يعدله شيء من امور الدنيا وربما عجل ذلك في الدنيا اذا كان ذلك صلاحا للعامة والخاصة ثم ان الارض في طباعها الذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة وانما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في الحجارة افرأيت لو ان اليبس افرط على الارض قليلا حتى تكون حجرا صلدا اكانت تنبت هذا النبات الذي به حياة الحيوان وكان يمكن بها حرث او بناء

بناء افلا ترى كيف تنبو من يبس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين
والرخاوة ولتتهيأ للاعتماد ومن تدبير الحكيم جل وعلا في خلقة الارض
ان مهب الشمال ارفع من مهب الجنوب فلم جعل الله كذلك الا لتنحدر المياه
على وجه الارض فتسقيها وترويها ثم تفيض آخر ذلك الى البحر فكما يرفع
احد جانبي السطح ويخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه كذلك جعل
مهب الشمال ارفع من مهب الجنوب لهذه العلة بعينها ولولا ذلك لبقي الماء
متحيرا على وجه الارض فكان يمنع الناس من اشتغالها ويقطع الطرق
والمسالك ثم الماء لولا كثرته وتدفقه في العيون والاودية والانهار
لضاق عما يحتاج الناس لشربهم وشرب انعامهم ومواشيهم وسقي زروعهم
واشجارهم واصناف غلاتهم وشرب ما يرده من الوحش والطير والسباع
وتتقلب فيه الحيتان ودواب الماء وفيه منافع اخر انت بها عارف وعن
عظم موقعها غافل فانه سوى الامر الجليل المعروف من عظيم غنائه في احياء
جميع ما على الارض من الحيوان والنبات يمزج بالاشربة فتلين وتطيب
لشاربها وبه تنظف الابدان والامتعة من الدرن الذي يغشاها وبه
يبل التراب فيصلح للاعتمال وبه تكف عادية النار اذا اضطرمت واشرف
الناس على المكروه وبه يستحم المتعب الكال فيجد الراحة من اوصابه
والى اشباه هذا من المآرب التي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة
اليها فان شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت
ما الارب فيه فاعلم انه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى من اصناف

السمك ودواب البحر ومعادن اللؤلؤ والياقوت والعنبر واصناف شتى تستخرج من البحر وفي سواحله منابت العود اليلنجوج وضروب من الطيب والعقاقير ثم هو بعد مركب الناس ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب من الصين الى العراق ومن العراق الى الصين فان هذه التجارات لو لم يكن لها محمل الا على الظهر لبارت وبقيت في بلدانها وايدي اهلها لان اجر حملها كان يجاوز اثمانها فلا يتعرض احد لحملها وكان يجتمع في ذلك امران احدهما فقد اشياء كثيرة تعظم الحاجة اليها والآخر انقطاع معاش من يحملها ويتعيش بفضلها وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق هذا الانام من الدخان

والغم يكشفها عملها

والبخار الذي يجري فيه فيقمع عما يؤول الى السحاب والضباب بادئة اولا وقد تقدم من صفته ما فيه كفاية والنار ايضا كذلك فانها لو كانت مبثوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه ولم يكن بد من ظهورها في الاحايين لغنائها في كثير من المصالح فجعلت كالمخزونة في الاجسام فتلتمس عند الحاجة اليها وتمسك بالمادة والحطب ما احتيج الى بقائها لئلا تخبو فلا هي تمسك بالمادة والحطب فتعظم المؤونة في ذلك ولا هي مبثوثة فتحرق كلما هي فيه بل هي على تهيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها ثم فيها خلة اخرى وهي انها مما خص به الانسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة لانه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه فاما البهائم فلا تستعمل النار ولا تستمتع بها ولما قدر الله عز وجل ان يكون هذا هكذا خلق للانسان كفا واصابع مهيئا لقدح النار واستعمالها ولم يعط البهائم مثل ذلك لكنها اعينت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الانسان وانبئك من منافع النار على خلقة صغيرة عظيم موقعها وهي هذا المصباح الذي يتخذه الناس فيقضون به حوائجهم ما شاؤوا من ليلهم ولولا هذه الخلة لكان الناس تصرف اعمارهم بمنزلة من في القبور فمن كان يستطيع ان يكتب او يحفظ او ينسج في ظلمة الليل وكيف كانت حال من عرض له وجع في وقت من اوقات الليل فاحتاج ان يعالج ضمادا او سفوفا او شيئا يستشفي به فاما منافعها في نضج الاطعمة ودفاء الابدان وتجفيف اشياء وتحليل اشياء واشباه ذلك فاكثر من ان تحصى واظهر من ان تخفى فكر يا مفضل في الصحو والمطر

كيف يعتقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده الا ترى ان الامطار اذا توالت عفنت البقول والخضر واسترخت ابدان الحيوان وحصر الهواء فاحدث ضروبا من الامراض وفسدت الطرق والمسالك وان الصحو اذا دام جفت الارض واحترق النبات وغيض ماء العيون والاودية فاضر ذلك بالناس وغلب اليبس على الهواء فاحدث ضروبا اخرى من الامراض فاذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما عادية الاخر فصلحت الاشياء واستقامت فان قال قائل ولم لا يكون في شيء من ذلك مضرة البتة قيل له

ارزدله كذا

ليمض ذلك الانسان ويؤلمه بعض الالم فيرعوي عن المعاصي فكما ان الانسان اذا سقم بدنه احتاج الى الادوية المرة البشعة ليقوم طباعه ويصلح ما فسد منه كذلك اذا طغى واشتد احتاج الى ما يعضه ويؤلمه ليرعوي ويقصر عن مساويه ويثبته على ما فيه حظه ورشده ولو ان ملكا من الملوك قسم في اهل مملكته قناطير من الذهب والفضة في اقاليم الارض كلها الا ترى المطرة الواحدة ما اكثر قدرها واعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون وربما عاقت احدهم عن حاجة لا قدر لها فيذمر ويسخط ايثارا للخسيس قدره على العظيم نفعه جهلا بمحمود العاقبة وقلة معرفته بعظيم الغناء والمنفعة فيها تأمل نزوله على الارض والتدبير في ذلك فانه جعل ينحدر عليها من علو ليتفشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه ولو كان انما يأتيها من بعض نواحيها لما علا على المواضع المشرفة منها ويقل ما يزرع في الارض الا ترى ان الذي يزرع سيحا اقل من ذلك فالامطار هي التي تطبق الارض وربما يزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلة الكثيرة وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة سياق الماء من موضع الى موضع وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتى يستأثر بالماء ذو العز والقوة ويحرمه الضعفاء ثم انه حين قدر ان ينحدر على الارض انحدارا جعل ذلك قطرا شبيها بالرش ليغور في قعر الارض فيرويها ولو كان يسكبه انسكابا كان ينزل على وجه الارض فلا يغور فيها ثم كان يحطم الزروع القائمة اذا اندفق عليها فصار ينزل نزولا رقيقا فينبت الحب المزروع

ويحيي الارض والزرع القائم وفي نزوله ايضا مصالح اخرى فانه يلين الابدان ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ويغسل ما يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمى باليرقان الى اشباه هذا من المنافع فان قال قائل اوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع منه او برد يكون فيه تحطم الغلات وبخورة يحدثها في الهواء فيولد كثيرا من الامراض في الابدان والآفات في الغلات قيل بلى قد يكون ذلك الفرط لما فيه من صلاح الانسان وكفه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها فيكون المنفعة فيما يصلح له من دينه ارجح مما عسى ان يرزأ في ماله انظر يا مفضل الى الجبال المركومة

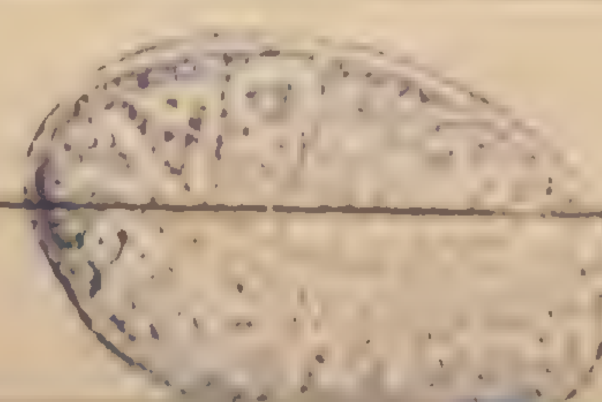
من الطين

التين والحجارة التي قد يحسبها الغافلون فضلا لا حاجة اليها والمنافع فيها كثيرة فمن ذلك ان يسقط عليها الثلوج فتبقى في قلالها لمن يحتاج اليه ويذوب ما ذاب منه فيجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الانهار العظام وينبت فيها ضروب من النبات والعقاقير التي لا ينبت مثلها في السهل ويكون فيها كهوف ومقايل للوحوش من السباع العادية ويتخذ فيها الحصون والقلاع المنيعة للتحرز من الاعداء وينحت منها الحجارة للبناء والارحاء ويوجد فيها معادن لضروب من الجواهر وفيها خلال اخرى لا يعرفها الا المقدر لها في سابق علمه فكر يا مفضل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الياقوت والزمرد والزبرجد والذهب والفضة والزيبق والقونيا والزرنيخ والنحاس والرصاص والزيبق والكلس والجص والزرانيخ والمرتك وضروب الحجارة وكذلك ما يخرج منها من القار والموميا والكبريت والنفط وغير ذلك مما يستعمله الناس في مآربهم فهل يخفى على ذي عقل ان هذه كلها ذخائر ذخرت للانسان في هذه الارض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة اليها ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فانهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر ويستفيض في العالم حتى يكثر الفضة والذهب ويسقطا عند الناس فلا تكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما في البيع والشراء والمعاملات ولا كان يجبي السلطان الاموال ولا يدخرهما احد للاعقاب وقد

صفحه

اعطي الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل والفضة من الرصاص والذهب من الفضة واشباه ذلك مما لا مضرة فيه فانظر كيف اعطوا ارادتهم فيما لا ضرر فيه ومنعوا ذلك فيما كان ضارا لهم لو نالوه ومن اوغل في المعادن انتهى الى واد عظيم يجري منصلتا بماء غزير لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ومن ورائه امثال الجبال من الفضة تفكر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم فانه اراد جل ثناؤه ان يري العباد قدرته وسعة خزائنه ليعلموا انه لو شاء ان يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل لكن لا صلاح لهم في ذلك لانه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس

اعطى … و



وقلة انتفاعهم به واعتبر ذلك بانه قد يظهر الشيء الظريف مما يحدثه الناس من الاواني والامتعة فما دام عزيزا قليلا فهو نفيس جليل آخذ الثمن فاذا فشا وكثر في ايدي الناس سقط عندهم وخست قيمته ونفاسة الاشياء من عزتها فكر يا مفضل في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب فالثمار للغذاء والاتبان للعلف والحطب للوقود والخشب لكل شيء من انواع النجارة وغيرها واللحاء والورق والاصول والعروق والصموغ لضروب من المنافع ارأيت لو كنا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على وجه الارض ولم تكن تنبت على هذه الاغصان الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا وان كان الغذاء موجودا فان المنافع بالخشب والحطب والاتبان وسائرها عظيمة قدرها جليل موقعها هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن منظره ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيه فكر يا مفضل في هذا الريع الذي جعل في الزرع فصارت الحبة الواحدة تخلف مائة حبة واكثر واقل وكان يجوز ان يكون الحبة تاتي بمثلها فلم صارت تريع هذا الريع الا ليكون في الغلة متسع لما يرد في الارض من البذر وما يتقوت الزراع الى ادراك زرعها المستقبل الا ترى ان الملك لو اراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك ان يعطي اهله ما يبذرونه في ارضهم وما يقوتهم الى ادراك زرعهم فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدم في تدبير الحكيم فصار الزرع

صفحه

يريع هذا الريع ليفي بما يحتاج اليه للقوت والزراعة وكذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير فانك ترى الاصل الواحد حوله من فراخه امرا عظيما فلم كان كذلك الا ليكون فيه ما يقطعه الناس ويستعملونه في مآربهم وما يرد فيغرس في الارض ولو كان الاصل منه يبقى منفردا لا يفرخ ولا يريع لما امكن ان يقطع منه شيء لعمل ولا لغرس ثم كان ان اصابته آفة انقطع اصله فلم يكن منه خلف فتامل نبات مثل العدس والماش والباقلا وما اشبه ذلك فانها تخرج في اوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات الى ان تشتد وتستحكم كما يكون المشيمة على الجنين

يريع … هذا

لهذا المعنى بعينه فامّا البر وما اشبهه فانّه يخرج مدرجا فى قشور صلاب على رؤسها امثال الاسنّة من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزرّاع فان قال قائل اوليس قد ينال الطير من البرّ والحبّ قيل له بلى على هذا قدر الامر فيها لانّ الطير خلق من خلق الله وقد جعل الله تبارك و تعالى له فيما تخرج الارض حظا ولكن حصنت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكّن الطير منها كل التمكن فيعبث فيها ويفسد الفساد الفاحش فانّ الطير لو صادف الحب بارزا ليس عليه شئ يحول دونه لاكبّ عليه حتى ينسفه اصلا فكان يعرض من ذلك ان يبشم الطير فيموت ويخرج الزارع من زرعه صفرا فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطير منه شيئا يسيرا يتقوّت به ويبقى اكثره للانسان فانه اولى به اذ كان هو الذى كدح فيه وشقى به وكان الذى يحتاج اليه اكثر ممّا يحتاج اليه الطير تامّل الحكمة فى خلق الشجر واصناف النبات فانها لمّا كانت تحتاج الى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن لها افواه كافواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت اصولها مركوزة فى الارض لتنزع منها الغذاء فتؤدّيه الى الاغصان وما عليها من الورق والثمر فصارت الارض كالام المربّية لها وصارت اصولها التى هى كالافواه ملتقمة للارض لتنزع منها الغذاء كما ترضع اصناف الحيوان امّهاتها الم تر الى عمد الفساطيط والخيم كيف تمدّ بالاطناب من كل جانب لتثبت منتصبة فلا تسقط ولا تميل فهكذا تجد النبات كله له عروق منتشرة فى الارض ممتدة الى كل جانب لتمسكه وتقيمه فلولا ذلك كيف كان تثبت هذه النخل الطوال والدوح العظام

فى الريح العاصف فانظر الى حكمة الخلقة كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة التى يستعملها الصناع فى ثبات الفساطيط والخيم متقدمة فى خلق الشجر لان خلق الشجر قبل صنعة الفساطيط والخيم الا ترى عمدها وعيدانها من الشجر فالصناعة ماخوذة من الخلقة تامّل يا مفضل خلق الورق فانك ترى فى الورقة شبه العروق مبثوثة فيها اجمع فمنها غلاظ ممتدة فى طولها وعرضها ومنها دقاق تتخلل الغلاظ منسوجة نسجا دقيقا معجما لو كان ممّا يصنع بالايدى كصنعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة فى عام كامل ولاحتيج الى آلات وحركة وعلاج وكلام فصار يأتى منه فى ايام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الارض كلها بلا حركة ولا كلام

بالارادة النافذة فى كل شئ والامر المطاع واعرف مع ذلك العلّة فى تلك العروق الدقاق فانها جعلت تتخلل الورقة باسرها لتسقيها وتوصل الماء اليها بمنزلة العروق المبثوثة فى البدن لتوصل الغذاء الى كل جزء منه وفى الغلاظ منها معنى آخر فانها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها لئلا تنتهك وتتمزق فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة فى طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب فالصناعة تحكى الخلقة وان كانت لا تدركها على الحقيقة فكر فى هذا العجم والنوى والعلة فيه فانه جعل فى جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس ان عاق دون الغرس عائق كما يحرز الشئ النفيس الذى تعظم الحاجة اليه فى مواضع اخر ثم هو بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقتها ولولا ذلك لتشدخت وتفسخت واسرع اليها الفساد وبعضه يؤكل ويستخرج دهنه فيستعمل منه ضروب من المصالح وقد تبيّن موضع الارب فى العجم والنوى فكر الآن فى هذا الذى تجده فوق النواة من الرطبة وفوق العجم من العنبة فما العلة ولماذا يخرج فى هذه الهيئة وقد كان يمكن ان يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكل كمثل ما يكون فى السدر والدلب وما اشبه ذلك فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة الا ليستمتع بها الانسان فكّر فى ضروب من التدبير فى الشجر فانك تراه يموت فى كل سنة موتة فتحتبس الحرارة الغريزية فى عوده ويتولد فيه موادّ الثمار ثم

يحيى فينتشر فيأتيك بهذه الفواكه نوعا بعد نوع كما تقدم اليك انواع الاخبصة التى تعالج بالايدى واحدا بعد واحد فترى الاغصان فى الشجر تتلقاك بثمارها حتى كانها تناولكها عن يد وترى الرياحين تلقاك فى افنانها كانها تحييك بانفسها فمن قدر هذا التقدير الا مقدر حكيم وما علة ذلك الا تفكيه الانسان بهذه الثمار والانوار والعجب من اناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها واعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها من اثر العمد والتدبير فانك ترى فيها كامثال التلال من شحم مركوم فى نواحيها وحبا مرصوفا رصفا كنحو ما ينضد بالايدى وترى الحب مقسوما اقساما وكل قسم منها

منها ملفوفاً بلطائف من حجب منسوجة اعجب النسج والطفه وقشره يضم
ذلك كله فمن التدبير في هذه الصنعة انه لم يكن يجوز ان يكون حشو
الرمانة من الحب وحده وذلك ان الحب لا يمد بعضه بعضاً فجعل ذلك
الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء الا ترى ان اصول الحب مركوزة في ذلك
الشحم ثم لف بتلك اللفائف لتضمه وتمسكه فلا يضطرب وغشي فوق
ذلك القشر المستحصف ليصونه ويحصنه من الآفات فهذا قليل من وصف
الرمانة وفيه اكثر من هذا لمن اراد الاطناب والتذرع في الكلام ولكن
فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار فكر يا مفضل في حمل اليقطين
الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ وما في
ذلك من التدبير والحكمة فانه حين قدر ان يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته
منبسطاً على الارض ولو كان ينتصب قائماً كما ينتصب الزرع والشجر
لما استطاع ان يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ولتقصف قبل ادراكها و
انتهائها الى غاياتها فانظر كيف صار يمتد على وجه الارض ليلقي عليها
ثماره فتحملها عنه فترى الاصل من القرع والبطيخ مفترشاً للارض
وثماره مبثوثة عليها وحواليه كانه هرة ممتدة وقد اكتنفتها اجراؤها
لترضع منها وانظر كيف صارت الاصناف توافي الوقت المشاكل لها من
حمارة الصيف ووقدة الحر فتلقاها النفوس بانشراح وتشوق اليها ولو
كانت توافي الشتاء لوافقت من الناس كراهية لها واقشعراراً منها مع ما يكون
فيها من المضرة للابدان الا ترى انه ربما ادرك شيء من الخيار في الشتاء

فيمتنع

من الآلات فانه لو كان مستحصفاً كالحجارة لم يمكن ان يستعمل في السقوف
وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشب كالابواب والاسرة والتوابيت وما اشبه
ذلك ومن جسيم المصالح في الخشب انه يطفو على الماء فكل الناس يعرف
هذا منه وليس كلهم يعرف جلالة الامر فيه فلولا هذه الخلة كيف كانت
هذه السفن والاطواف تحمل امثال الجبال من الحمولة وانى كان الناس
ينال هذا الرفق وخفة المؤونة عليهم في حملها حتى يلقى كثير مما يحتاج اليه
في بعض البلدان مفقوداً اصلاً او عسر وجوده فكر في هذه العقاقير وما
خص بها كل واحد منها من العمل في بعض الادواء فهذا يغور في المفاصل
فيستخرج الفضول مثل الشيطرج وهذا ينزف المرة السوداء مثل الافتيمون
وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج وهذا يحلل الاورام واشباه هذا
من افعالها فمن جعل هذه القوى فيها الا من خلقها للمنفعة ومن فطن
الناس لها الا من جعل هذا فيها ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض
والاتفاق كما قال القائلون وهب الانسان فطن لهذه الاشياء
بذهنه ولطيف رويته وتجاربه فالبهائم كيف فطنت لها حتى صار
بعض السباع يتداوى من جراحه ان اصابته ببعض العقاقير فيبرأ
وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم واشباه هذا
كثير ولعلك تشكك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري
حيث لا انس ولا انيس فتظن انه فضل لا حاجة اليه وليس كذلك بل
هو طعم لهذه الوحوش وحبه علف للطير وعوده وافنانه حطب

نستعمله

الزبل

الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معاً وموقعها
من الزروع والبقول والخضر اجمع الموقع الذي لا يعدله شيء حتى
ان كل شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو الا بالزبل والسماد الذي يستقذره
ويكرهون الدنو منه واعلم انه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته بل هما قيمتان
مختلفتان لسوقين وربما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيساً في سوق العلم
فلا تستصغر العبرة في شيء لصغر قيمته فلو فطنوا طالبوا الكيميا لما في العذرة
لاشتروها بانفس الاثمان وغالوا بها قال المفضل وحان وقت الصلوة الزوال
فقام مولاي الى الصلوة وقال بكر الي غداً ان شاء الله فانصرفت وقد تضاعف
سروري بما عرفنيه مبتهجاً بما آتانيه حامداً لله على ما منحنيه فبت ليلتي مسروراً

المجلس الرابع

قال المفضل فلما كان اليوم الرابع بكرت الى مولاي فاستؤذن لي فامرني
بالجلوس فجلست فقال منا التحميد والتسبيح والتعظيم والتقديس للاسم
الاقدم والنور الاعظم العلي العلام ذي الجلال والاكرام ومنشئ الانام ومفني
العوالم والدهور وصاحب السر المستور والغيب المحظور والاسم المخزون
والعلم المكنون وصلواته وبركاته على مبلغ وحيه ومؤدي رسالته
الذي ابتعثه بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فعليه وعلى آله من بارئه الصلوات
الطيبات والتحيات الزاكيات الناميات وعليه وعليهم السلام والرحمة والبركات
في الماضين والغابرين ابد الآبدين ودهر الداهرين وهم اهله ومستحقه

قد شرحت لك يا مفضل من الادلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد في الانسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك ما فيه عبرة لمن اعتبر وانا اشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الازمان التي اتخذها اناس من الجهال ذريعة الى جحود الخلق والخالق والتدبير وما انكرت المعطلة والمنانية من المكاره والمصائب وما انكروه من الموت والفناء وما قاله اصحاب الطبائع ومن زعم ان كون الاشياء بالعرض والاتفاق ليتسع ذلك القول في الرد عليهم قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذ اناس من الجهال هذه الآفات الحادثة في بعض الازمان كمثل الوباء واليرقان والبرد والجراد ذريعة الى جحود الخلق والتدبير

والخالق فيقال في جواب ذلك انه ان لم يكن خالق ومدبر فلم لا يكون
ما هو اكثر من هذا وافظع فمن ذلك ان يسقط السماء على الارض
وتهوي الارض فتذهب سفلاً وتتخلف الشمس عن الطلوع اصلاً و
تجف العيون والانهار حتى لا يوجد ماء للشفة وتركد الريح حتى تخم
الاشياء وتفسد ويفيض ماء البحر على الارض فيغرقها ثم هذه الآفات
التي ذكرناها من الوباء والجراد وما اشبه ذلك ما بالها لا تدوم وتمتد
حتى تجتاح كل ما في العالم بل تحدث في الاحايين ثم لا تلبث ان ترفع
افلا ترى ان العالم يصان ويحفظ من تلك الاحداث الجليلة التي
لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره ويلذع احياناً بهذه الآفات
اليسيرة لتاديب الناس وتقويمهم ثم لا تدوم هذه الآفات بل تكشف
عنهم عند القنوط فيكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم
رحمة وقد انكرت المعطلة ما انكرت المنانية من المكاره والمصائب
التي تصيب الناس فكلاهما يقول ان كان للعالم خالق رؤوف
رحيم فلم تحدث فيه هذه الامور المكروهة والقائل بهذا القول يذهب
الى انه ينبغي ان يكون عيش الانسان في هذه الدنيا صافياً من كل كدر
ولو كان هكذا كان الانسان سيخرج من الاشر والعتو الى ما لا يصلح في
دين ولا دنيا كالذي ترى كثيراً من المترفين ومن نشأ في الجدة والامن يخرجون
اليه حتى ان احدهم ينسى انه بشر وانه مربوب او ان ضرراً يمسه
او ان مكروهاً ينزل به او انه يجب عليه ان يرحم ضعيفاً او يواسي

فقيراً او يرثي لمبتلى او يتحنن على ضعيف او يتعطف على مكروب فاذا عضته المكاره ووجد مضضها اتعظ وابصر كثيراً مما كان جهله وغفل عنه ورجع الى كثير مما كان يجب عليه والمنكرون لهذه الامور المؤذية بمنزلة الصبيان الذين يذمون الادوية المرة البشعة ويتسخطون من المنع من الاطعمة الضارة ويتكرهون الادب والعمل ويحبون ان يتفرغوا للهو والبطالة وينالوا كل مطعم ومشرب ولا يعرفون ما تؤديهم اليه البطالة من سوء النشوء والعادة وما تعقبهم الاطعمة اللذيذة الضارة من الادواء والاسقام وما لهم في الادب من الصلاح وفي الادوية من المنفعة وان شاب ذلك

بعض الكراهة فان قالوا فلم لم يكن الانسان معصوما من المساوي حتى لا يحتاج الى ان تلذعه هذه المكاره قيل اذا كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها ولا يستحق للثواب عليها فان قالوا وما كان يضره ان لا يكون محمودا على الحسنات مستحقا للثواب بعد ان يصير الى غاية النعيم واللذة قيل لهم اعرضوا على امرء صحيح الجسم والعقل ان يجلس منعما ويكفى كلما يحتاج اليه بلا سعي ولا استحقاق فانظروا هل يقبل ذلك بل ستجدونه بالقليل مما يناله بالسعي والحركة اشد اغتباطا وسرورا منه بالكثير مما يناله بغير استحقاق وكذلك نعيم الآخرة ايضا يكمل لاهله بان ينالوه بالسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة على الانسان في هذا الباب مضاعفة فان اعد له الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا وجعل له السبيل الى ان ينال ذلك بسعي واستحقاق فيكمل له السرور والاغتباط بما يناله منه فان قالوا اوليس قد يكون من الناس من يركن الى ما نال من خير وان كان لا يستحقه فما الحجة في منع من رضي ان ينال نعيم الآخرة على هذه الجملة قيل لهم ان هذا باب لو صح للناس لخرجوا الى غاية الكلب والضراوة على الفواحش وانتهاك المحارم فمن كان يكف نفسه عن فاحشة او يتحمل المشقة في باب من ابواب البر لو وثق بانه صائر الى النعيم لا محالة او من كان يأمن على نفسه واهله وماله من الناس لو لم يخافوا الحساب والعقاب فكان ضر هذا الباب سينال الناس في هذه الدنيا قبل الآخرة فيكون في ذلك تعطيل العدل والحكمة معا وموضع للطعن على التدبير بخلاف الصواب ووضع الامور غير مواضعها وقد يتعلل هؤلاء بالآفات

عليه من البر والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة واما الفجار فانهم يعرفون رحمة ربهم وتطوله عليهم بالسلامة من غير استحقاق فيحضهم ذلك على الرأفة بالناس والصفح عمن اساء اليهم ولعل قائلا يقول ان هذه الآفات التي تصيب الناس في اموالهم فما قولك فيما يبتلون به في ابدانهم فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق والغرق والسيل فيقال له ان الله تعالى جعل في هذا ايضا صلاحا للصنفين جميعا اما الابرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها والنجاة من مكارهها واما الفجار فلما لهم في ذلك من تمحيص اوزارهم وحبسهم عن الازدياد منها وجملة القول ان الخالق تعالى بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الامور كلها الى الخيرة والمنفعة فكما انه اذا قطعت الريح شجرة او قطعت نخلة اخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضروب من المنافع فكذلك يفعل المدبر الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في ابدانهم واموالهم فيصيرها جميعا الى الخيرة والمنفعة فان قال قائل ولم تحدث على الناس قيل له لكيلا يركنوا الى المعاصي من طول السلامة فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البر فان هذين جميعا يغلبان على الناس في حال الخفض والدعة وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تنبههم على ما فيه رشدهم فلو خلوا منها لغلوا في الطغيان والمعصية كما غلا الناس في اول الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الارض منهم ومما ينتقده الجاحدون للعمد والتقدير الموت

ولا تسلى بشيء عن شيء مما يحدث عليه ثم كانوا يملون الحيوة وكل شيء من امور الدنيا كما قد يمل الحيوة من طال عمره حتى يتمنى الموت والراحة من الدنيا فان قالوا انه كان ينبغي ان يرفع عنهم المكاره والاوصاب حتى لا يتمنوا الموت ولا يشتاقوا اليه فقد وصفنا ما كان يخرجهم اليه من العتو والاشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدين والدنيا وان قالوا انه كان ينبغي ان لا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن والمعايش قيل لهم اذن كان يحرم اكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله تعالى ومواهبه في الدارين جميعا اذ لم يدخل العالم الا قرن واحد لا يتوالدون ولا يتناسلون فان قالوا كان يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق الى انقضاء العالم يقال لهم يرجع الامر الى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعايش عنهم ثم لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الانس بالقرابات وذوي الارحام والانتصار بهم عند الشدائد وموضع تربية الاولاد والسرور بهم ففي هذا دليل على ان كل ما تذهب اليه الاوهام سوى ما جرى به التدبير خطاء وسفه من الرأي والقول ولعل طاعنا يطعن على التدبير من جهة اخرى فيقول كيف يكون ههنا تدبير ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عز بز فالقوي يظلم ويغصب والضعيف يظلم ويسام الخسف والصالح فقير مبتلى والفاسق معافى موسع عليه ومن ركب فاحشة او انتهك محرما لم يعاجل بالعقوبة فلو كان في العالم تدبير لجرت الامور على القياس القائم فكان الصالح هو المرزوق والطالح هو المحروم وكان القوي يمنع من ظلم الضعيف والمتهتك للمحارم يعاجل بالعقوبة فيقال في جواب ذلك ان

من ساعته حتى يكون افعال الناس كلها تجري على الامر لا يتوقع لهم فيها شيء من اليقين بما عند الله ولا يستحقون ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها مع ان هذه الامور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه بل قد تجري على ذلك احيانا والامر المفهوم فقد ترى كثيرا من الصالحين يرزقون المال لضروب من التدبير وكيلا يسبق الى قلوب الناس ان الكفار هم المرزوقون والابرار هم المحرومون فيؤثرون الفسق على الصلاح وترى كثيرا من الفساق يعاجلون بالعقوبة اذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى انفسهم كما عوجل فرعون بالغرق وبخت نصر بالتيه وبلبيس بالقتل وان امهل بعض الاشرار بالعقوبة واخر بعض الاخيار بالثواب الى الدار الآخرة لاسباب تخفى على العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير فان مثل هذا قد يكون من ملوك الارض ولا يبطل تدبيرهم بل يكون تأخيرهم ما اخروه وتعجيلهم ما عجلوه داخلا في صواب الرأي والتدبير واذا كانت الشواهد تشهد وقياسهم يوجب ان للاشياء خالقا حكيما قادرا فما يمنعه ان يدبر خلقه فانه لا يصح في قياسهم ان يكون الصانع يهمل صنعته الا باحدى ثلاث خلال اما عجز واما جهل واما شرارة وكل هذا محال في صنعته عز وجل وتعالى ذكره وذلك ان العاجز لا يستطيع ان يأتي بهذه الخلائق الجليلة العجيبة والجاهل لا يهتدي لما فيها من الصواب والحكمة والشرير لا يتطاول لخلقها وانشائها واذا كان هذا هكذا وجب ان يكون

مشكلاً ثوابه لما كان من حزم الرأي وسمت الادب ان يقضي على العالم
بالاهمال لانه كان في النصفة لأخر وما يظهر فيه من الصواب والاتقان
ما يردع الوهم عن التسرع الى هذه القضية فكيف وكل ما فيه اذا فتش
وجد على غاية الصواب حتى لا يخطر بالبال شيء الا وجد ما عليه الخلقة
اصح واولى منه واعلم يا مفضل ان اسم هذا العالم بلسان اليونانية
الجاري المعروف عندهم قوسموس وتفسيره الزينة وكذلك سمته الفلاسفة
ومن ادعى الحكمة افكانوا يسمونه بهذا الاسم الا لما رأوا فيه من التقدير والنظام
فلم يرضوا ان يسموه تقديرا ونظاما حتى سموه زينة ليخبروا انه مع ما هو
عليه من الصواب والاتقان على غاية الحسن والبهاء اعجب يا مفضل
من قوم لا يقضون على صناعة الطب بالخطاء وهم يرون الطبيب يخطئ
ويقضون على العالم بالاهمال ولا يرون شيئا منه مهملا بل اعجب من
اخلاق من ادعى الحكمة حتى جهلوا موضعها في الخلق فارسلوا السنتهم
بالذم للخالق جل وعلا بل العجب من المخذول ماني حين ادعى علم الاسرار وعمي
عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه الى الخطاء ونسب خالقه الى الجهل
تبارك الحكيم الكريم واعجب منهم جميعا المعطلة الذين راموا ان يدركوا بالحس
ما لا يدرك بالعقل فلما اعوزهم ذلك خرجوا الى الجحود والتكذيب فقالوا
ولم لا يدرك بالعقل قيل لانه فوق مرتبة العقل كما لا يدرك البصر ما هو
فوق مرتبته فانك لو رأيت حجرا يرتفع في الهواء علمت ان راميا رمى
به فليس هذا العلم من قبل البصر بل من قبل العقل لان العقل هو الذي

امره بنفسه ولم يكلفوا الاحاطة بصفته كما ان الملك لا يكلف عبيده
ان يعلموا الطويل هو ام قصير ابيض هو ام اسمر وانما يكلفهم الاذعان
بسلطنته والامتثال على امره الا ترى ان رجلا لو اتى باب الملك فقال اعرض
على نفسك حتى اتقصى معرفتك والا لم اسمع لك كان قد احل نفسه
بالعقوبة فكذا القائل انه لا يقر بالخالق سبحانه حتى يحيط بكنهه
متعرض لسخطه فان قالوا او ليس قد نصفه فنقول هو العزيز الحكيم الجواد الكريم
قيل لهم كل هذه صفات اقرار وليست صفات احاطة فانا نعلم انه
حكيم ولا نعلم بكنه ذلك منه وكذلك قدير وجواد وسائر صفاته
كما قد نرى السماء ولا ندري ما جوهرها ونرى البحر ولا ندري اين منتهاه
بل فوق هذا المثال بما لا نهاية له لان الامثال كلها تقصر عنه ولكنها
تقود العقل الى معرفته فان قالوا ولم يختلف فيه قيل لهم لقصر الاوهام عن
مدى عظمته وتعديها اقدارها في طلب معرفته وانها تروم الاحاطة
به وهي تعجز عن ذلك وما دونه فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع
على العالم ولا يوقف على حقيقة امرها ولذلك كثرت الاقاويل فيها
واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها فقال بعضهم هو فلك اجوف
مملو نارا له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع وقال آخرون هو سحابة وقال آخرون
هو جسم زجاجي يقبل نارية في العالم ويرسل عليه شعاعها وقال آخرون
هو صفو لطيف ينعقد من ماء البحر وقال آخرون هو اجزاء كثيرة
مجتمعة من النار وقال آخرون هو من جوهر خامس سوى الجواهر الاربع

فهو لم يستتر بحيلة يخلص اليها كمن يحتجب عن الناس بالابواب والستور وانما معنى قولنا استتر عنه انه لطيف عن مدى ما تبلغه الاوهام كما لطفت النفس وهي خلق من خلقه وارتفعت عن ادراكها بالنظر فان قالوا ولم لطف وتعالى عن ذلك علواً كبيراً كان ذلك خطاء من القول لانه لا يليق بالذي هو خالق كل شيء الا ان يكون مبايناً لكل شيء متعالياً عن كل شيء سبحانه وتعالى فان قالوا كيف يعقل ان يكون مبايناً لكل شيء متعالياً عن كل شيء سبحانه وتعالى قيل الحق الذي تطلب معرفته من الاشياء هو اربعة اوجه فاولها ان ينظر اموجود هو ام ليس بموجود والثاني ان يعرف ما هو في ذاته وجوهره والثالث ان يعرف كيف هو وما صفته والرابع ان يعلم لماذا هو ولاية علة فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق ان يعرفه من الخالق حق معرفته غير انه موجود فقط فاذا قلنا وكيف وما هو فممتنع علم كنهه وكمال المعرفة به واما لماذا هو فساقط في صفة الخالق لانه جل ثناؤه علة كل شيء وليس شيء بعلة له ثم ليس علم الانسان بانه موجود يوجب له ان يعلم ما هو وكيف هو كما ان علمه بوجود النفس لا يوجب ان يعلم ما هي وكيف هي وكذلك الامور الروحانية اللطيفة فان قالوا فانتم الان تصفون من قصور العلم عنه وصفاً حتى كانه غير معلوم قيل هو كذلك من جهة اذا رام العقل معرفة كنهه والاحاطة به وهو من جهة اخرى اقرب من كل قريب اذا استدل عليه بالدلائل

الشافية

الفعل للخالق الحكيم وقد كان من القدماء طائفة انكروا العمد والتدبير في الاشياء وزعموا ان كونها بالعرض والاتفاق وكان مما احتجوا به هذه الآفات التي تلد على غير مجرى العرف والعادة كالانسان يولد ناقصاً او زائداً اصبعاً او يكون المولود مشوهاً مبدل الخلق فجعلوا هذا دليلاً على ان كون الاشياء ليس بعمد وتقدير بل بالعرض كيف ما اتفق ان يكون وقد كان ارسطاطاليس رد عليهم فقال ان الذي يكون بالعرض والاتفاق انما هو شيء يأتي في الفرط مرة لاعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها وليس بمنزلة الامور الطبيعية الجارية على شكل واحد جرياناً دائماً متتابعاً وانت يا مفضل ترى اصناف الحيوان تجري اكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد كالانسان يولد وله يدان ورجلان وخمس اصابع كما عليه الجمهور من الناس فاما ما يولد على خلاف ذلك فانه لعلة تكون في الرحم او في المادة التي ينشأ منها الجنين كما يعرض في الصناعات حين يتعمد الصانع الصواب في صنعته فيعوق دون ذلك عائق في الاداة او في الآلة التي يعمل فيها الشيء فقد يحدث مثل ذلك في اولاد الحيوان للاسباب التي وصفنا فيأتي الولد زائداً او ناقصاً او مشوهاً ويسلم اكثرها فيأتي سوياً لا علة فيه فكما ان الذي يحدث في بعض الاعمال الاعراض لعلة فيه لا توجب عليها جميعاً الاهمال وعدم الصانع كذلك ما يحدث على بعض الافعال الطبيعية لعائق يدخل عليها لا يوجب ان يكون جميعها

بالعرض

ما اتیتك واحفظ ما منحتك وكن لربك من الشاكرین ولآلائه من
المطیعین فقد شرحت لك من الآیات والشواهد علی الخلق علی صواب التدبیر
والعمد قلیلاً من كثیر وجزءاً من كل فتدبره وذكر فیه واعتبر به فقلت
بمعونتك یا مولای اقوی علی ذلك وابلغه انشاء الله تعالی فوضع یده علی صدری
فقال احفظ بمشیة الله ولا تنس انشاء الله تعالی فخررت مغشیاً علیه
فلما افقت قال كیف تری نفسك یا مفضل فقلت قد استغنیت بمعونة
مولای وتاییده عن الكتاب الذی كتبته وصار ذلك بین یدی كانما
اقراه من كفی فلمولای الحمد والشكر كما هو اهله ومستحقه فقال یا مفضل
فرغ قلبك واجمع الیك ذهنك وعقلك وطمانینتك فسالقی علیك من علم
ملكوت السموات والارض وما خلق الله تعالی بینهما وفیهما من عجائب
خلقه واصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم الی سدرة
المنتهی وسائر الخلق من الجن والانس الی الارض السابعة السفلی و
ما تحت الثری حتی یكون ما وعیته جزء من اجزاء انصرفت
فاذا شئت فصلحتنا حتی عنه آمنا بالمكان الرفیع
وموضعك من قلوب المؤمنین موضع الماء
من العطش ولا تسئلن عما وعدتك
حتی احدث لك منه ذكراً قال
المفضل فانصرفت من
عند مولای بما لم
ینصرف احد
بمثله
تم الكتاب

صفحه ۷۱

این ترجمه حدیث مفضل در
ظهور حضرت مهدی و رجعت رسول خدا
و سائر ائمه صلوات الله علیهم از مؤلفات
علامه مجلسی رحمة الله علیه است

بسم الله الرحمن الرحیم

شیخ معتمد حسن بن سلیمان در کتاب منتخب البصائر روایت کرده است
بسند معتبر از مفضل بن عمر که گفت سؤال کردم از حضرت مبین الحقائق
جعفر بن محمد الصادق صلوات الله علیه که آیا از امامیکه مردم انتظار
ظهور او میکشند وامید وار فرج او هستند یعنی مهدی صاحب الزمان
صلوات الله علیه وقت معلومی برای خروج آنحضرت هست فرمود که
ابا نموده از اینکه برای ظهور آنحضرت وقتی تعیین فرماید که شیعیان
بدانند پس فرمود آیا بیکه از حق سبحانه تعالی در امر قیام ساعت در
قرآن مجید است همگی در خصوص قیام آنحضرت نازل شده است و
هر کس برای ظهور مهدی صلوات الله علیه وقتی معین نماید خود را
با خداوند جل شانه در علم غیب شریك نموده و دعوای اطلاع بر اسرار
الهیه کرده است مفضل گفت که ای مولای من چگونه خواهد بود
ابتدای ظهور آنحضرت فرمود که بغتة ظاهر گردد و نامش بلند شود و امرش
هویدا گردد و از آسمان منادی باسم و کنیه و نسبش ندا کند تا آنکه
حجت بودن او بر خلق ظاهر شود بان حجتی که ما بر خلق لازم ساخته ایم
وقصهای احوال او را بیان کرده ایم و نسب واسم و کنیه او را بر تمام مردم

پس فرمود که والله ای مفضل بر طرف کند از ملتها و دینها اختلاف را و همه
دین یک دین شود چنانچه حق تعالی فرموده است وَمَنْ یَبْتَغِ
غَیْرَ الْاِسْلَامِ دِیناً فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِی الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِینَ یعنی
هر که طلب نماید غیر دین اسلام را هرگز از او قبول نکنند و او در آخرت از
زیان کاران باشد مفضل پرسید که ای سید ما آنحضرت با که ظاهر
خواهد کرد فرمود با ملائکه و مؤمنان از جن و انس ظاهر خواهد فرمود
[illegible] آنحضرت [illegible]
بر [illegible] والله ای مفضل [illegible] ظاهر شود در [illegible]
حضرت رسالت صلی الله علیه و آله و سلم [illegible]
باشد [illegible] حضرت رسالت پناه و در دست [illegible]
عصای آنحضرت بوده باشد [illegible] در پیش افکنده [illegible]
و باین هیئت بیاید نزد خانه کعبه تنها [illegible] چون شب [illegible]
بخواب رود جبرئیل و میکائیل و صفوف از ملائکه بر او نازل شوند پس
جبرئیل گوید ای آقای من سخن حضرت مقبول و امرت جاریست پس حضرت
صاحب الامر صلوات الله علیه دست بر روی مبارک کشد و گوید حمد و سپاس
خداوندیرا سزاست که وعده ما را راست گردانید و زمین و بهشت را
میراث داد که هر جا که خواهیم [illegible] پس نیکو است مزد کارکنان [illegible]
پس بایستد میان رکن و مقام حضرت ابرهیم و بصدای بلند ندا کند که ای گروه
بزرگواران و مخصوصان من [illegible] که حق تعالی شما را [illegible] ذخیره کرده است

[illegible]

بخدمت آنحضرت حاضر شده اند همه در خدمتش ایستاده باشند
پس پشت بکعبه دهد و دست خود را بگشاید مانند دست موسی از نور
[illegible] کند پس گوید که هر که با این دست بیعت کند چنانست
که با خدا [illegible] بیعت کرده است پس اول کسیکه دستش
ببوسد و با او بیعت کند جبرئیل باشد پس سایر ملائکه بیعت نمایند
پس نجبای جن [illegible] بیعت [illegible] پس سیصد و سیزده نقبا
سر فراز گردند آنگاه مردم [illegible] که این شخص کیست که در جانب
کعبه ظاهر شده [illegible] گویند پس بعضی گویند
[illegible] گویند هیچیک از اصحاب [illegible]
گویند نمیشناسیم هیچیک را مگر چهار کس از اهل مدینه که اینها را اسم
و نسب میشناسیم و این بیعت در اول طلوع آفتاب باشد پس چون
آفتاب بلند شود از پیش قرص آفتاب منادی ندا کند که اهل آسمانها
و زمینها بشنوند که ایگروه خلایق این مهدی آل محمد است [illegible]
و کنیت [illegible] او را یاد کند و نسبت دهد او را بامام حسن عسکری صلوات
پدرش امام یازدهم و دیگر پدران بزرگوارش را بشمارد تا حسین بن علی
پس ندا نماید که با او بیعت کنید تا هدایت بیابید و مخالفت امر او منمائید
که گمراه شوید پس اول کسانیکه آن ندا را لبیک گویند و اجابت نمایند
ملائکه باشند پس مؤمنان جن [illegible] پس سیصد و سیزده نفر نقبا
میگویند شنیدیم و اجابت کردیم و هیچ صاحب گوشی نماند مگر [illegible]

[illegible]

الفضل

حضرت صاحب الامر صلوات الله علیه پشت بکعبه داده گوید هر که
خواهد نظر کند بادم و شیث و نوح و سام و ابرهیم و اسمعیل و موسی
و یوشع و عیسی پس نظر کند بمن که علم و کمال همه با من هست و هر که خواهد
نظر کند بمحمد و علی و فاطمه و حسن و حسین و ائمه از ذریه حسین صلوات الله
علیهم پس نظر کند بمن و انچه خواهد از من سؤال کند که علم همه نزد من است
و انچه انها مصلحت ندانستند و خبر نداده اند من خبر میدهم و هر که کتب اسمانی
و صحف پیغمبران میخواهد بیاید و از من بشنود پس ابتدا کند و صحف ادم و
شیث که در ان هیچ تغییر واقع نیافته است خواند بر مردمان پس بخواند صحف
نوح و صحف ابرهیم و توریة موسی و انجیل عیسی و زبور داود علیهم السلام
پس علمای ملتها همه شهادت دهند که این است انکتابها بعینه که از اسمان
نازل شده و تغییر نیافته و انچه از ما فوت شده بود و بما نرسیده بود
همه را بر ما خواند پس بخواند قرانرا بعینه که حقتعالی بحضرت رسول صلی الله
علیه و اله و سلم نازل ساخته بی انکه تغییر و تبدیلی داشته باشد
چنانچه در قرانهای دیگر شده پس در این حال شخصی بیاید بخدمت انحضرت
که رویش بجانب پشت برگشته باشد و بگوید ای سید من منم بشیر امر
کرد مرا ملکی از ملائکه که بخدمت تو بیایم و ترا بشارت دهم بهلاک شدن
لشکر سفیانی پس حضرت فرماید که قصه خود و برادرت را برای مردم نقل
کن بشیر گوید که من و برادرم در میان لشکر سفیانی بودیم و خراب کردیم
دنیا را از دمشق تا بغداد و کوفه را خراب کردیم و مدینه را خراب کردیم

ومنبر را

صحیح
و منبر را شکستیم
و استرهای ما در میان مسجد
مدینه سرگین انداختند و بیرون
امدیم و عدد لشکر ما سیصد هزار
نفر بود پس متوجه خراب کردن
خانه کعبه شدیم و اهلش را
نقل بکنیم چون بصحرای بیدا
رسیدیم شب در انجا فرود
امدیم پس صدائی از اسمان
بلند شد که ای بیدا هلاک گردان
این گروه ستمکاران را پس زمین
شکافته شد و تمام لشکر با اموال و اسباب
فرو برد و کسی نماند بغیر از من و برادرم
با جهار پایان در زمین فرو رفت ناگاه ملکی بنزد ما امد و رو
های ما را به پشت سر گردانید

چنانچه

چنانچه میبینی پس با برادرم گفت ای نذیر برو بسوی سفیانی در دمشق
و او را بترسان بظاهر شدن مهدی ال محمد صلوات الله علیهم و خبر ده
او را که لشکرش را حقتعالی در زمین بیدا هلاک گردانید و با من گفت
ای بشیر ملحق شو بحضرت مهدی در مکه و او را بشارت ده بهلاک شدن
ظالمان و توبه نما بر دست انحضرت که توبه ترا قبول میفرماید
پس حضرت دست مبارک خود را بروی بشیر مالد و بحالت اول
برگردد و با حضرت بیعت کند و در لشکران بزرگوار بماند مفضل
پرسید که ای سید و مولای من ملائکه و جن در ان زمان بر مردم
ظاهر خواهند شد فرمود که بلی و الله ای مفضل و با ایشان گفتگو
خواهند نمود چنانچه مردی با اهل و یاران خود صحبت دارد و انحضرت
با ان گروه فرود خواهند امد در زمین هجرت ما بین نجف و کوفه و عدد
اصحاب انحضرت چهل و شش هزار ملائکه خواهند بود و شش هزار
جن و بروایت دیگر چهل و شش هزار جن و خداوند جل شانه
او را بر عالم ظفر خواهد داد مفضل پرسید انحضرت با اهل مکه
چه خواهد کرد فرمود که اول ایشانرا بحکمت و موعظه نیکو
بحق دعوت نماید پس اطاعتش نمایند و شخصی از اهل بیت خود را
خلیفه گرداند بر ایشان و بیرون اید و متوجه مدینه مشرفه شود
مفضل پرسید که با خانه کعبه چه خواهد کرد فرمود که خراب
و ان بنائیکه حضرت ابرهیم و حضرت اسمعیل علیهما السلام کذاشته

بردند

صحیح
بردند
در مکه
مینا کنند و بناهائی که ظالمان از برای
خود ساختند در اطراف عالم
و مسجد و عراق و سایر بلاد همه را
خراب میکنند و مسجد کوفه را
خراب میکنند و از اساس او
بنا میکنند و قصر کوفه را خراب
میکنند و منبرها را که در ان
بسیار ملعونی گشته اند مفضل
از ان بنا نموده اند که بر شیعه
بر ضحک کردند غرض که ... جواب
بدر نمودند و اینجا در مکان
خواهند اهل بیت خود را
بجای شخصی از اهل بیت خود در
بمکه خواهند نمود و اهل مکه
ان خلیفه را بقتل رسانند پس
چون انحضرت انحضرت را بقتل
پس حضرت با سپاه از مدینه
برگشته بمکه اید ایشان
معاودت نماید پس با اهل مکه
که انحضرت بر ایشان رحم
نماید و ایشانرا قتل نمایند تا
انتقام هیچ ال محمد مستحکم ...

توبه

توبه ها مقبول نرماید حضرت ایشان را پند دهد و از عقوبات
دنیا و آخرت بترساند و آن اهل مکه شمشیر بر ایشان والی کند
دیگر بیرون آید تا زنان را الیرا بکشند انگاه با زنان خود را از حرم بیرون
نسبت ایشان برگرداند که با ایشان بگوید که برگردید بحق هر که ایمان دارد
او را بخشند و هر که ایمان نیاورد او را بقتل برسانند پس بعد از آن
همایون میرود تا بسوی مسجد کوفه از ده کس یکی ایمان نیاورده باشد
از هزار کس یکی که ایمان نیاورد و عسکر نخواند همه آنها را بقتل رسانند
مفضل پرسید ای مولای من خانه حضرت مهدی صلوات الله علیه
در کجا خواهد بود فرمود پایتخت آنحضرت شهر کوفه خواهد بود و مجلس
دیوان و حکمش کوفه خواهد بود و محل جمع بیت المال و قسمت غنیمتها
مسجد سهله خواهد بود مفضل پرسید که جمیع مؤمنان در کوفه
خواهند بود فرمود بلی والله که مؤمنی نباشد مگر آنکه یا در کوفه
یا در حوالی کوفه باشد یا دلش مایل بکوفه و نجف باشد و از جهت عدم اسباب
ظاهریه نتوانند خود را بآن زمین برسانند و در آن زمان قیمت جای خوابیدن
یک گوسفند در کوفه دو هزار درهم باشد و در آن زمان شهر کوفه
وسعتش بفاصله پنجاه و چهار میل یعنی هیجده فرسخ باشد و قصرهای کوفه
بکربلای معلی متصل گردد و حق سبحانه و تعالی کربلا را بنا و جای کامی کرم
که پیوسته محل آمد و شد ملائکه و مؤمنان باشد و حق تعالی آن زمین
مقدس را بسیار بلند مرتبه گرداند و چندان از برکات در حرمتها

در

عیسی روح الله داد وقت ولادت غسل داد و خود در اینجا غسل
کرد و آن بهترین بقعهایست که حضرت رسول از آنجا عروج نمود
و خیر و رحمت بی پایان برای شیعیان در آنجا مهیا است تا ظاهر
شدن قائم آل محمد صلوات الله علیهم مفضل عرض کرد که ای سید
من پس مهدی دیگر بکجا متوجه خواهد شد فرمود که بشهر مدینه
جدم رسول خدا و چون وارد مدینه شود امر عجیبی از آنحضرت
بظهور اید که موجب شادی مؤمنان و خواری اهل نفاق گردد و آن
عموم مؤمنین و اهل حق میدانند در این شهر و در این زمان کیست
با ظهار آن امر نیست تعجیل در انتقام کشیدن از تمام ظالمین و همه
از برای انواع مظلومین و ظاهر شدن معجزات عظیمه و امثال آن
بامر خداوند جلت عظمته بسوزاند تمام رؤسای ظالمین و کافرین
را هانیکه منشأ ظلم گردیده اند با تمام طوائفیکه پیروی و متابعت ایشانرا
نموده اند ان بقیة الله فی الارضین صلوات الله علیه متوجه کوفه
گردد و مابین نجف و کوفه نزول اجلال فرماید با چهل و شش
هزار ملائکه و چهل و شش هزار از جن و سیصد و سیزده تن از نقباء و
برگزیدگان که با نکر خداوند جل جلاله از سر مغرب آنحضرت مقرر فرمود
و همینکه آن فرد قدس اعظم با تمام قدرت و عظمت و جلال در آن زمین
شریف قرار گیرد حضرت مسیح میکند جوان خوش صورت حسینی بجانب او
حرکت میکند و باو افتخار میکند که هر کس با در سید ای آل محمد مضطر

انه

که مصحف آل محمد است اما مطلبش آنست که بر اصحاب خود ظاهر نماند حقیقت
حال آنحضرت را پس سیّد حسنی باید با اصحاب خود در برابر حضرت مهدی
صلوات الله علیه بایستند و سیّد حسنی عرض نکند که اگر جناب تو مهدی
آل محمدی کجا است عصای جد تو رسول خدا و انگشتر و برد و زره او
که فاضل مینامیدند و عمامه‌اش که سحاب میگفتند و اسبش که یربوع نام داشت
و ناقه‌اش که عضباء میگفتند و استرش که دلدل مینامیدند و حمارش
که یعفور اسمش بود و کجاست براق و کو مصحف امیرالمؤمنین که بی تغییر و
تبدیل جمع کرد پس همه را حضرت مهدی حاضر کند حتی عصای آدم
و نوح و ترکه هود و صالح و مجموعه ابرهیم و صاع یوسف و کیل و ترازوی
شعیب و عصای موسی و تابوت آن و زره داود و انگشتر سلیمان
و تاج او و مخصوصات عیسی و مواریث جمیع پیغمبران پس حضرت مهدی
عصای حضرت رسول را بر سنگ صلدی نصب کند و فورا درخت
بزرگی شود که جمیع لشکر در زیر سایه آن باشند پس سیّد حسنی
گوید الله اکبر دست خود را دراز کن تا با جناب تو بیعت کنیم ای فرزند
رسول خدا پس حضرت مهدی صلوات الله علیه دست دراز فرماید
سیّد حسنی و جمیع لشکر او بیعت نمایند بغیر از چهل هزار زیدیه
که با مصحفها باشند و مصحفها در گردن حمائل آنها گویند که اینها
سحر عظیم است پس حضرت مهدی هر چند آیات را بایشان نشان دهد و معجزات
بآنها نماید سودی نبخشد تا سه روز پس امر فرماید که همه را بقتل

صفحه

و چهار مهر در مدینه طیبه و کوفه میبینیم قندیلها و چراغها نیز اگر آسمان
و زمین را روشنی میدهند نیازی به آفتاب و ماه پس بیرون میاید
سیّد اکبر خاتم النبیین با هر که ایمان آورده است از مهاجر و انصار
و غیر ایشان و هر که در رکاب آنحضرت شهید شده باشند پس زنده میکند
جمیع آنها که تکذیب آنحضرت کرده بودند و شک میکردند در حقیقت او
یا آنکه گفته او صنم نمودند و میگفتند ساحر است یا کاهن و یا دیوانه
و بخواهش خود سخن میگوید و هر که با او جنگ کرده باشند و نزاع کرده
باشند همه را بجزای خود میرسانند و همچنین برمیگرداند آنحضرت
یک یک از ائمه را تا صاحب الامر صلوات الله علیهم و هر که یاری ایشان
کرده باشند تا خوشحال شوند و هر که آزار ایشان کرده تا آنکه
پیش از آخرت بعذاب و خواری دنیا مبتلا کردند و در آن وقت
ظاهر میشود تاویل آن آیه کریمه که ترجمه‌اش گذشت که وَنُرِیدُ اَنْ
نَمُنَّ عَلَی الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْاَرْضِ تا آخر آیه مفضل پرسید
که حضرت رسول و حضرت امیرالمؤمنین صلوات الله علیهما با حضرت
صاحب الامر خواهند بود فرمود که بلی ناچار است که ایشان
جمیع زمین را بگردند حتی پشت کوه قاف و آنچه در ظلمات است و تمام
دریاها تا آنکه هیچ موضعی از زمین نماند مگر آنکه ایشان طی نمایند
و دین خدا و فضیلت عظمت را بر پا دارند پس فرمود که گویا
می بینم که ما گروه امامان نزد جد خود رسول خدا ایستاده

صفحه

تمام شد ... بعون الله تعالی

ارشادی

بر ضمیر منیر
اخوان دینی مخفی نماند که چون
اهم مطالب معرفت حضرت سبحانی جلت
عظمته میباشد از روی دلیل و برهان و بر عموم
مکلفین تحصیل این معرفت واجب است بوجوب عینی لهذا
این حقیر جانی ابراهیم بن الحسن الکاشانی از جهت امر بکرد آشتیم و از
جهت تایید دین و خدمت بمؤمنین خصوصاً اهل ایمان که در عصر
و سایر بلاد و ولت عمار دروس و ارکان مستکن بوده اند توحید مفضل را
که نسخه ان نادر الوجود بود و از بیانات امام بحق ناطق جعفر بن محمد الصادق صلوات
الله علیه میباشد و در جملهٔ از ابواب مفضل بیان فرموده در حضور اثبات
صانع و ابطال قول دهریین تعبیر و در اخوان ثانی ذکر نمود تیقن ظهور قطب
رحی الوجود صمد موعود و حجت رحمة للعالمین صلوات الله
علیهم اجمعین و المهدی از برو بر کار دهیم و از امام عصر عجل الله فرجه توفیق خواستم که این خادم
شرع محمدی را عنایت فرمایند که بخط خوب نوشته شود ... از جملهٔ این الجمع ... تا در حضور آنحضرت
بوده باشد بحمد الله و منته که کتاب را نوشتم و از جمیع ... ادر ... خوان دینی
خصوصاً مقیمین ... ان خطر ... و کسان ... این کتاب بطریق صحیح
بحول الله ... مقام احتجاج ... قرائت ... رابعه و ... الثالث
مقام احتجاج ... اقتضا کند ... مستقیم ... الله
یعنی تمام ... حضور ... الحال ... بخواند و رابعاً ... عمل نماید
قلعه ... ایت واجب و خامساً اصلاح ... کرده انتظار
ظهور ... شده و افضل اعمال انتظار ظهور آنحضرت میباشد و سادساً
در خواست ... که ... بعضی از مکلفین ... حفظ این کتاب
و نشر دادن ان ... و از ... تمام حجت خواهد بود
سایر اقوام ... و ... رحمت ... ساعت ... سئول خواهند
کرد و جواب نخواهند داشت و سابعاً ... خواهند
مسئلت مینمایم که توفیق ... کتاب بحار الانوار
و حلیة المتقین و ... و ...
بابیت ... عباسی و
اقبال ... و معراج ...

سلمه الله تعالی

تا انتقام کشد از ناصبیه عرب با قله